إستراتيجية السيد في الكرازة

بقلم الدكتور روبرت كولمان

تقديم بيلي جراهام

تنقيح وإعداد القس الدكتور حنا كتتاشو

الناشر

كنيسة الاتحاد المسيحي الإنجيلية – 2015

ترجمة القس جرجس هابيل

الطبعة الأولى

دار الثقافة المسيحية – 1979

الطبعة المنقحة الثانية

تنقيح وإعادة ترجمة وإعداد

القس الدكتور حنا كتناشو – بروفيسور في اللاهوت الكتابي

في كلية الناصرة الإنجيلية

جميع حقوق الطبع لكتاب " إستراتيجية السيد في الكرازة "

محفوظة للناشر. فلا يجوز أن يستخدم اقتباس أو إعادة نشر أي جزء من هذا الكتاب بدون إذن الناشر. للناشر وحده حق إعادة الطبع. للاستفسار أو للحصول على نسخ إضافية، الرجاء الكتابة إلى العنوان التالي:

كنيسة الاتحاد المسيحي الإنجيلية

ص. ب. 50 – القدس 91142

المحتويات

شكر وتقدير	5
تقديم المنقح	7
تقديم بيلي جراهام	9
تمهيد	11
الفصل الأول . الاختيار	20
الفصل الثاني . الوجود معه	37
الفصل الثالث . التكريس	50
الفصل الرابع . البذل	63
الفصل الخامس. المثال الحي	74
الفصل السادس. إعطاء المسئولية	83
الفصل السابع . الإشراف	96
الفصل الثامن . التكاثر	105
خاتمة . السيد وخطة حياتك	118

كلمات شكر وتقدير من الناشر

لقد خط الدكتور كولمان كتاب " إستراتيجية السيد في الكرازة " سنة 1963. في نفس السنة، أدرك قارئ النسخة الإنكليزية أن كتاب كولمان مرجع مهم لفهم الكرازة والتلمذة. وانتشرت معرفة أهمية كتاب كولمان فتُرجم إلى العديد من اللغات. وتُرجم أيضا إلى اللغة العربية. أما الطبعة المنقحة الأولى من كتاب كولمان باللغة العربية فلها مناسبة خاصة. خرجت هذه الطبعة بمناسبة زيارة كولمان القصيرة للأراضي المقدسة وخدمته فيها.

يرغب الناشر أن يعبر عن شكره لأشخاص كثيرين ساهموا في إصدار هذه الكتاب بواسطة مساعدتهم وعملهم الشاق. نشكر بروس ميلس الذي نسق قدوم كولمان إلى البلاد المقدسة. تربط كولمان المقيم في أمريكا وبروس المقيم في القدس أواصر الصداقة. أدت هذه الصداقة إلى جعل زيارة كولمان ممكنة وإلى إصدار الطبعة الأولى المنقحة باللغة العربية.

نود أن نشكر لوريس قسيس – من بيت ساحور – على عملها الدقيق في طباعة النص العربي. وأيضا، نقدر عمل باسم أدرنلي – من القدس – على صورة الغلاف الذي يشمل جوني بطرس وطوني سمعان. فشكرا لهم. نشكر أيضا شركة راي للدعاية والتسويق – من بيت لحم – لأجل تصميم الغلاف.

نشكر القس الدكتور حنا كتاشو – أستاذ اللاهوت في كلية الناصرة الإنجيلية – على عمله وتنقيحه اللاهوتي واللغوي للطبعة العربية الأولى. لقد عمل القس حنا جاهدا في ترجمة العديد من الفقرات التي كانت مفقودة في الطبعة الأولى. أيضا، ساهم القس حنا في ترتيب النص وأشرف على الشكل النهائي للطبعة الأولى المنقحة.

أخيرا، نشكر الدكتور روبرت كولمان. لقد سمح لنا أن ننشر الكتاب باللغة العربية آملا أن يستخدم رب الكرازة وسيدها هذا الكتاب العربي لمجد الله. يأمل كولمان أن يساعد هذا الكتاب على توصيل رسالة الخلاص وعلى تلمذة العديد من قاطني الشرق الأوسط. لله المجد.

القس روجر البل

مقدمة المنقح

هل يحتاج العالم العربي إلى المسيح؟ هل يحب الله الإنسان العربي وهل مات المسيح لأجل العرب؟ لا يكفي أن نقول نعم. بل يجب علينا أن نفحص قلوبنا ونقيم حياتنا في ضوء كلمة الله. ويجب علينا أن نسأل أنفسنا: ماذا نعمل في سبيل توصيل رسالة المسيح إلى أحبائنا وأبناء شعبنا. ماذا تعمل الكنيسة العربية في سبيل توصيل رسالة المسيح؟

هل يوجد عندنا خطة للوصول إلى الجموع؟ إن المشاعر وحدها لا تكفي لقيادة النفوس الضالة إلى المسيح. فما هي خطتنا؟ كيف نصل إلى شعبنا المعاني بأسلوب فعال ومثمر؟ كيف نقود الخطاة إلى أقدام المسيح وكيف نحقق الإرسالية العظمى؟ نوافق معكم أن عندنا الرغبة والحماس. نوافق أن بعض كنائسنا قد أخذت خطوات مضحية في سبيل الوصول إلى الجماهير الضالة. نوافق انه يوجد الكثير من البرامج والنشاطات. لكن هل يوجد خطة وإستراتيجية؟

لقد شاهدنا الكثير من الكنائس العربية التي تجذب الجموع ولكنها لا تستطيع أن تحافظ عليها. فأين الخطأ؟ لماذا لا يوجد الكثير من المؤمنين المكرسين القادرين على نشر رسالة وتعليم المسيح إلى كل أرجاء الوطن العربي؟ أرجوكم أن تفكروا في هذا السؤال بجدية فهناك الملايين

من النفوس العربية مازالت تنتظر خلاصا. هنا، ندخل في صلب موضوع هذا الكتاب القيم.

يعرض روبرت كولمان إستراتيجية السيد في الكرازة. هذه الإستراتيجية هي الوسيلة الإلهية للوصول إلى الجموع. يحدثنا كولمان عن ثمانية مبادئ كتابية وُجدت في منهجية السيد المسيح. إذا التزمت كنائسنا بهذه المبادئ سوف نشهد نهضة عربية ونرى مئات الآلاف من النفوس العربية ساجدة أمام أقدام الرب المخلص يسوع المسيح. يصف كولمان مبادئ المسيح الكرازية التي لا تنحصر بزمان أو مجتمع أو مكان. فهي صالحة لمجتمع القرن الأول وصالحة للمجتمع العربي اليوم.

عندما قرأت هذا الكتاب لأول مرة شعرت بالتبكيت وسجدت على ركبي طالبا من الله أن يستخدمني لمجد اسمه. لقد قابلني روح الله القدوس على صفحات هذا الكتاب. لقد رأيت ابتسامة الآب عندما بدأت أدرك عمق وقوة إستراتيجية المسيح في الوصول إلى العالم. أصلي أن الذي لمس قلبي يلمس قلوبكم ويحرككم نحو إتباع إستراتيجية المسيح المعلم. إنها الإستراتيجية المثلى في الكرازة.

القس حنا كتناشو

تقديم بيلي جراهام

ينتمي كتاب كولمان، "إستراتيجية السيد في الكرازة "، إلى الكتب القليلة المساهمة بشكل كبير في امتداد البشارة في جيلنا. تحدى هذا الكتاب الممتاز ،والمنتمي إلى مجموعة كتب الطراز الأول، أعدادا كبيرة من الناس داعيا ومدربا إياهم على توصيل رسالة المسيح للعالم. وأنا مسرور أن هذا الكتاب قد أثر في الناس اكثر من ثلاثين سنة ومازال يؤثر فيهم.

ليس من الصعب علينا اكتشاف سر تأثير هذا الكتاب في النفوس الكثيرة. إن الدكتور كولمان لا يعتمد على ما يتناغم مع الأساليب الحديثة أو آخر موضة في ترويج المبيعات لكنه يعتمد على الكتاب المقدس. فلقد تساءل كولمان سؤالا جوهريا ومهما: ما هي إستراتيجية المسيح في الكرازة؟ وبهذا قادنا كولمان إلى المبادئ الكتابية البسيطة والثابتة على مر الأجيال. هذه المبادئ العميقة هي الأساس الصحيح لأي كرازة جديرة بالثقة.

استنادا إلى ما سبق، أعتقد أن قيمة هذا الكتاب لا تنقص أو تزول مع مرور الأيام. وكما تحدى هذا الكتاب رجالا ونساء لأكثر من ثلاثين سنة، تتحدى هذه الطبعة الحديثة جيل اليوم وتقدم لهم لمحة عن قلب رب الكرازة.

أصلي أن يستمر الله في استخدام هذا الكتاب لتنبيهنا لأولويات الله، أي تقديم البشارة السارة المتعلقة برجاء الله وغفرانه وسلامه للعالم الهالك والزائل والمرتبك. عطايا الله متوفرة للعالم بواسطة يسوع المسيح.

بيلي جراهام

تمهيد

السيد وخطته

" أنا هو الطريق " (يوحنا 14: 6)

1- المشكلة هي في أساليب الكرازة

الهدف المقدس والوسيلة الملائمة – هذان هما الأمران الحيويان اللذان يجب أن يبت فيهما بشكل قاطع. وكلا الأمرين متداخلان معا. وعلى قدر ما نجعلهما متآلفين متناسقين، على قدر ما تكون هناك نتائج فعالة لنشاطنا. إن مجرد انهماكنا في العمل، أو مهارتنا في أدائه لا يعنيان بالضرورة أننا أنجزنا شيئا وإنما السؤال الذي يجب أن نسأله على الدوام هو: هل العمل الذي نقوم به يستحق أن نعمله؟ وهل نستطيع بوسائلنا هذه أن نصل إلى النجاح الذي نبغيه؟

هذا هو السؤال الذي يجب أن نطرحه أمامنا دائماً فيما يتعلق بنشاط الكنيسة في الكرازة. هل المجهودات التي نبذلها في سير الأمور تحقق الإرسالية العظمى التي كلفنا بها المسيح؟ هل نرى بعيوننا جماعة من الأشخاص المكرسين الذين يزداد عددهم بصفة مستمرة والذين يحملون إلى

العالم رسالة الإنجيل كنتيجة لخدمتنا؟ لا أنكر أن كنائسنا منشغلة في برامج كرازية ولكن هل نحن عاملون على تحقيق الهدف المنشود؟

2- الوسيلة تتبع الهدف

هنا يتضح لنا أن هناك حاجة إلى استراتيجية مدروسة درساً جيداً للتحرك يوميا من أجل تحقيق الهدف على المدى البعيد. ويجب أن نفهم كيفية اتفاق منهجيتنا مع الخطة الشاملة التي وضعها الله لنا لأن فهمنا سيلهب إحساسنا بالمسئولية العظمى الملقاة على عاتقنا. ويصدق هذا الكلام على أي إجراء خاص نهدف من ورائه إلى نشر الإنجيل، وكما يُبنى البناء لاستعمال وغرض معين هكذا يجب أن يكون لكل شيء نعمله غرض معين، وإلا فان نشاطنا يضيع هباء منثوراً بسبب الارتباك وعدم وضع خطة محددة.

3- دراسة في المبادئ

في الواقع، هذا هو السبب الرئيسي الذي كُتب الكتاب لأجله. إن دراستنا تتطلب مجهوداً لمعرفة المبادئ المنظمة لتحركات السيد المسيح لعلنا نقتدي به في خطته. ولا يحاول هذا الكتاب أن يفسر الوسائل المعينة التي كان يستخدمها يسوع في الكرازة للأفراد أو للجماهير. إن هذا الكتاب ما هو إلا دراسة للمبادئ التي كانت تقوم عليه خدمته. حددت هذه المبادئ وسائل كرازة المسيح. لهذا سمينا هذا الكتاب " استراتيجية

السيد في الكرازة ". إنها الإستراتيجية والمنهجية التي سار عليها المسيح في حياته على الأرض.

4- الحاجة إلى مزيد من البحث

مما يدعو إلى الدهشة أن ما كتب في هذا الموضوع قليل. مع علمنا أن معظم الكتب التي تتحدث عن وسائل الكرازة تتحدث بصورة موجزة. وهذا ما يقال أيضاً عن الدراسات التي عالجت موضوع طرق يسوع في التعليم، وكذلك ما كتب في الدراسات التاريخية عن حياة وأعمال المسيح.

لعل أوفى دراسة في خطة المسيح الكبرى للكرازة هي ما كتبه الدكتور " أ. ب. بروس – A. B. Bruce " تحت عنوان " تدريب الاثني عشر – The Training of the Twelve ". وقد ظهرت طبعته الأولى عام 1871، ثم طبع للمرة الثانية بعد تنقيحه عام 1899. إن شرح بروس لنمو التلاميذ تحت عناية المسيح عميق ولا يوجد له مناظر. ويوجد أيضا مجلد مهم آخر متعلق بهذا الموضوع. كتب هذا المجلد هنري ليثم (Henry Latham) تحت عنوان (Pastor Pastorum). وقد نُشر سنة 1890. يهتم كتاب هنري بتدريب يسوع لتلاميذه ولكنه ليس شاملا مثل كتاب بروس.

ومنذ نهاية القرن التاسع عشر، ظهرت كتب صغيرة الحجم من هذا القبيل، وأدت خدمتها في تحريك الشعور بلزوم الدراسة المستفيضة في هذا الموضوع. ولم يكن لكل هذه الكتب نفس اللاهوت الإنجيلي، لكنها جميعها تتفق فيما يتعلق بالأمر المركزي في عمل يسوع مع تلاميذه.

ويصدق هذا الكلام أيضاً على كثير من المؤلفات المتعلقة بالتطبيق العملي العملية والتي تتحدث عم المراحل العديدة لحياة الكنيسة وخدمتها . نُشرت هذه المؤلفات خلال السنوات الأخيرة. ويجب علينا أن نهتم بشكل خاص بالمؤلفات المتعلقة بنمو المجموعات الكنسية الصغيرة ونمو الشهادة عند العلمانيين.

لم يعر هؤلاء الكتاب موضوع إستراتيجية الكرازة أهمية كبيرة، لكننا نشكر جهودهم لأنهم تعاملوا مع مبادئ الخدمة الأساسية المتعلقة بخدمة وإرسالية الرب يسوع. ومع أننا نقدر أتعاب الذين أعطوها قدراً من الاهتمام، ولا نغض الطرف عن النتائج التي وصلوا إليها، إلا أننا لا نزال في حاجة إلى مزيد من البحث والتقصي، خصوصا دراسة المصادر الأساسية.

5- خطتنا في الدراسة

لهذا، لزاما علينا أن نذهب إلى العهد الجديد ولا سيما الأناجيل الأربعة لنرى خطة يسوع في الكرازة. فالأناجيل وحدها هي رواية شهود العيان الذين رأوا المسيح وهو يعمل (لوقا 1: 2 و 3 ويوحنا 20: 30 و 21: 24، 1 يوحنا 1: 1). والأناجيل كتبت لغرض أساسي، لكي ترينا يسوع المسيح ابن الله ولكي يكون لنا بالإيمان به حياة باسمه (يوحنا 20: 31) ، ولكن ما نعجز عن تحقيقه أحيانا هو أن هذه الحياة في المسيح تشتمل أيضاً على الطريقة التي عاشها المسيح وعلم الآخرين أن يعيشوها. يجب أن نتذكر أن الشهود الذين كتبوا هذه الأناجيل لم يروا فقط الحق

بوضوح، لكنهم عاشوه عملياً في حياتهم، وقد تغيرت حياتهم به. لأجل هذا السبب نجد أنهم وهم يروون لنا قصة حياة المسيح لا يحيدون عن ذكر الأشياء التي أثرت فيهم وفي غيرهم لدرجة أنهم تركوا كل شيء وتبعوا السيد. وبالطبع لم يدونوا لنا كل كبيرة وصغيرة في حياة المسيح. ولا يفوتنا أن نذكر أن كتاب البشائر، مثل باقي كتبة الروايات التاريخية، اهتموا برسم الصورة العامة بواسطة شرح مفصل لبعض الأشخاص المميزين وبعض الاختبارات المهمة. رسموا هذه الصورة العامة في إطار توضيح قضايا جوهرية. لقد اختاروا ودونوا الأمور بدقة وأمانة وبوحي الروح القدس. ومن بين الأشياء التي اختاروها ودونوها تعليمنا الكيفية التي نتبع بها طريق السيد في الكرازة. ولهذا فان الشهادات التي دونها الإنجيل عن يسوع تعطينا أفضل وأصدق كتاب عن الكرازة. إنه كتاب كرازة بلا أي خطأ ولا يوجد له مثيل.

ومن هنا نرى أن خطة هذه الدراسة هي في اقتفاء خطوات المسيح كما رسمتها لنا الأناجيل من غير الرجوع بلا ضرورة إلى المصادر الثانوية. وفي هذا البحث سنعالج بتمعن وروية كل ما جاء به الوحي عن حياة يسوع وعمله. وسننظر إلى هذه السيرة المباركة من زوايا كثيرة محاولين أن نكتشف السبب المحرك والفعال الذي لأجله اختار هذا الطريق في خدمته. وقد حللت خططه الكرازية بقصد معرفة المعنى الأكبر لطرق اتصاله بالناس. ولقد تم دراسة خدمته بتحليل مجملها.

نعترف أن المحاولة لم تكن سهلة علينا. وأنا أول من يعترف بأن هناك أموراً أكثر احتاج إلى تعلمها. إن حدود رب المجد التي لا تحد لا

يمكن أن توضع في نطاق تفسير بشري. وكلما أطال الإنسان النظر إليه، رأى آفاقا أخرى لم يصل إليها بعد.

6- المسيح هو المثال الكامل

ومع اعترافنا بهذه الحقيقة، فأنه لا توجد دراسة مفيدة مثل هذه الدراسة. ومع أن طاقتنا محدودة الإدراك لكننا نعلم أن المسيح هو المعلم الكامل. فلم يفعل خطية ما في حياته. ومع أنه اشترك معنا في حياتنا البشرية، وتجرب في كل شيء مثلنا، إلا أنه لم يكن محدوداً بحدود الجسد الذي أتخذه لأجلنا. وحتى عندما لم يقبل أن يستخدم معرفته الإلهية الكاملة كان عقله يتميز بالوضوح الكامل. لقد عرف دائماً ما هو الحق. وهو – الإنسان الكامل – عاش كما يعيش الله بين الناس.

7- كان غرضه واضحاً

لم تكن أيام تجسده، إلا تعبيراً جاء في وقته عن خطة الله التي رسمها منذ الأزل. ولقد كانت هذه الخطة ماثلة عقله، ماثلة أمام عينيه. كان مقصده أن يخلص من العالم شعباً لنفسه، وأن ينشئ كنيسة تبقى إلى الأبد ولا تقوى عليها عوامل الفناء. كانت أمامه رؤيا ذلك اليوم الذي يأتي فيه ملكوته بمجد وقوة. كان هذا العالم له لأنه خلقه لكنه لم يشأ أن يكون العالم مسكنه الدائم. كانت قصوره في السماء. ومضى لكي يعد لشعبه المكان الذي له الأساسات الأزلية في السموات. ولم يخرج أحداً من مقاصده الكريمة. كانت محبته للجميع إذ كان " مخلص العالم " (يوحنا

4: 42). لقد أراد الله أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (1 تيموثاوس 2: 4). ولأجل هذا الغرض بذل المسيح نفسه ليهيأ خلاصاً من كل خطية ولأجل جميع الناس. وهو قد مات لأجل كل واحد منا، ولأجل جميع الناس بدون استثناء. وعلى النقيض من تفكيرنا السطحي لم يضع المسيح تفرقة بين الإرساليات الأجنبية والإرساليات الوطنية. كانت الكرازة في نظر المسيح كرازة للعالم كله.

8- خطط للربح

كانت حياته مرتبة ومنظمة طبقاً للغرض الموضوع أمامه. وكل شيء فعله أو قاله كان جزءا من النموذج الكامل وكان لهذا دلالته الواضحة على حياته إذ حققت الغرض الأسمى من تجسده في فداء العالم لله. كانت هذه الرؤيا هي المحفزة له. كانت تحكم وتنظم كل تصرفاته. كانت خطواته مرتبة للوصول به إلى هذا الهدف. ولم تغب رؤية هذا الهدف لحظة واحدة من حياة يسوع.

لهذا، نرى أنه من اللازم أن نلاحظ الطريق التي سلكها تحقيقاً لغرضه العظيم وهو فداء العالم. لقد كشف السيد عن استراتيجية الله في ربح العالم. وكانت له الثقة الأكيدة في المستقبل لأنه كان يعيش وفقا لتلك الخطة المرسومة. ولم يحدث شيء صدفة في حياته. ولم يبذل مجهوداً ضائعاً. ولم ينطق بكلمة فارغة بلا معنى. لقد كان في خدمة الله الآب (لوقا 2: 49). فعاش المسيح ومات وقام طبقا للمخطط الإلهي. وكقائد حربي يرسم خطة المعركة، هكذا رسم المسيح وخطط لكي يربح

العالم. وفي تقديره ووزنه لكل العوامل المختلفة في الاختبار البشري، رسم الخطة التي لن يصيبها الفشل.

9- أمر جدير بالاعتبار

إن دراسة خطة يسوع ستعلن لنا أشياء كثيرة عن حياته وعن مقاصده الأزلية. وإن التأمل الجاد في هذه النقطة سيصل بتلميذ المسيح إلى نتائج مذهلة مليئة بالتحدي بالرغم من إمكانية بطأ الإدراك وصعوبته. في الواقع، إن النظرة الأولى قد لا ترينا أنه كان ليسوع خطة. وقد تكشف لنا المحاولة الثانية عن بعض النواحي الخاصة التي تلفت النظر، ولكن يفوتنا أن نرى النموذج الموضوع والذي يقف كأساس لكل خططه. وهذه إحدى عجائب استراتيجية المسيح. فهي خطة متواضعة هادئة صامتة لا يلحظها القارئ المتعجل ولكن عندما تشرق بنورها أخيراً على الذهن المتفتح لتلميذ المسيح ينذهل أمام بساطتها ويعجب كيف خفي عليه أن يراها من قبل. مع ذلك، إن خطة المسيح عندما تدرس بتأمل، سيظهر أن فلسفتها الأساسية تختلف كل الاختلاف عن خطة الكنيسة العصرية لدرجة أن مفاهيمها تحسب ثورية.

وستحاول الصفحات القادمة أن تلقي الضوء على المبادئ الثمانية التي ترشدنا إلى خطة السيد. ومع ذلك فمن الواجب أن أقول أن هذه الخطوات لا يفهم أنها موضوعة بترتيب بحيث أن الخطوة الأخيرة لا يجوز اتخاذها إلا بعد إتقان الخطوات السابقة. إن كل هذه الخطوات متداخلة في بعضها البعض، بل إنها جميعاً قد ظهرت إلى حد ما في الخطوة

الأولى. إن المقصود بهذه الخلاصة هو إعطائنا فكرة عن تركيب وبناء خطة المسيح في الكرازة وعن منطقها المتدرج. وسيلاحظ القارئ أن خدمة يسوع المسيح إذ تأخذ في الامتداد والاتساع، ستتجلي هذه الخطوات بأكثر وضوح، وسنكون أكثر إدراكاً ولمساً لهذه المبادئ.

****

الفصل الأول: الاختيـار

" اختار منهم اثني عشر " (لوقا 6: 13)

1- كان الناس وسيلته في الكرازة

بدأت كل قصـة الكرازة بدعوة يسوع لعدد قليل من الرجال ليتبعوه. أعلـن يسـوع بهـذه الـدعوة الاتجـاه الـذي سـيتخذه فـي حملتـه الاسـتراتيجية للكرازة. لم يكن اهتمامه الأول بالبرامج التي يصل بها إلى الجماهير، بل بالرجال الذين ستقتفي الجماهير خطواتهم. ومما هو جدير بالاعتبار أن يسوع شرع في اختيار هؤلاء الرجال قبل أن ينظم حملة كرازية أو حتى قبل أن يلقي عظة على الجمهور. كان الرجال وسيلته في ربح العالم لله.

كان الغرض الأساسي من خطة يسوع أن يجند رجالا يستطيعون أن يشهدوا عن حياته ويواصلوا القيام بعمله بعد رجوعه إلى الله الآب. كان اندراوس ويوحنا أول المدعوين عندما غادر يسوع مناظر النهضة العظيمة التي أحدثها يوحنا المعمدان في بيت عنيا عبر الأردن (يوحنا 1: 35- 40). وأحضر اندراوس بدوره أخاه بطرس (يوحنا 1: 41 و42). وفي اليوم التالي وجد يسوع فيلبس وهو في طريقه إلى الجليل. ثم التقى فيلبس بنثنائيل (يوحنا 1: 43 – 51). وليس هناك من دليل على التسرع في اختيار هؤلاء التلاميذ، بل يوجد أدلة على التفكير والتصميم في اختيارهم.

فمثلا، لا يُذكر يعقوب أخو يوحنا في الإعداد السابقة كواحد من المجموعة المختارة لكنه أنضم إليهم بعد هذا اللقاء بعدة شهور على شاطئ بحر الجليل (مرقس 1: 19، متى 4: 21). وبعد ذلك بفترة وجيزة صدر الأمر لمتى بأن يتبع السيد عندما كان يسوع يمر في مدينة كفرناحوم (مرقس 2: 13 و 14، متى 9: 9، لوقا 5: 27 و 28). ولم تذكر الأناجيل كل التفاصيل التي أحاطت بدعوة التلاميذ الآخرين ولكن من المسلم به أنه تم اختيارهم جميعاً في خلال السنة الأولى من خدمة الرب.

هذه المجهودات المبكرة في ربح النفوس لم يكن لها تأثير مباشر على الحياة الدينية في زمان المسيح ولكن هذا لم يهمه كثيراً. فقد اختار الرب هؤلاء التلاميذ القلائل الأوائل ليصيروا فيما بعد قادة الكنيسة التي كان عليها أن تكرز بالإنجيل للعالم كله. وفي نور الغرض الأسمى الموضوع أمامه، كان تأثير حياتهم آخذ في الامتداد حتى يصل إلى الأبدية نفسها. وهذا هو الشيء الوحيد الذي يستحق منا كل تقدير.

2- عندهم القابلية للتعلم

وعما جاء في الإنجيل بأكثر وضوح عن هؤلاء الرجال أنهم في بادئ الأمر لم يملكوا قوة للتأثير علينا، إذ هم ليسوا من أصحاب النفوذ. ولم يشغل أحد منهم مراكز مرموقة في المجمع. ولم ينتمي أحدهم إلى رجال الكهنوت اللاوي. كانوا من صفوف العمال العاديين. والمرجح، أنهم لم يحصلوا على أي قدر من التعليم الفني إلا القليل من المعرفة اللازمة لمهنتهم. وربما كان من بينهم عدد قليل من الطبقة المتوسطة كابني زبدي

ولكن لم يكن واحد منهم غنيا. ولم يحصلوا على درجات جامعية في فنون وفلسفات عصرهم. كانوا مثل سيدهم من حيث التعليم. فلم يزد تعليمهم على ما تلقوه في مدارس المجمع. ونشأ معظمهم في الأحياء الفقيرة من أرض الجليل. ويبدو لنا أن التلميذ الوحيد من بين الاثني عشر الذي خرج من قطاع أكثر رقيا كان يهوذا الاسخريوطي. وبأي مقياس من مقاييس الثقافة المعترف بها في أيامهم أو في أيامنا، كانوا يحسبون بالتأكيد خليطا غريبا من النفوس لا تجانس فيه. إن المرء يتولاه العجب متسائلاً: كيف استطاع يسوع أن يستخدمهم؟! فقد كانوا مندفعين، سريعي الانفعال، يغتاظون بسهولة، كما كانت لهم بطبيعة الحال – كل أنواع التعصب المتفشية في بيئتهم. ومجمل القول كان هؤلاء الرجال الذين أختارهم الرب يمثلون جزءا عاديا من المجتمع، فهم ليسوا من طراز الناس الذين نتوقع أن يربحوا العالم للمسيح.

لكن يسوع – مع كل ذلك – رأى في هؤلاء القوم البسطاء القوة والقيادة الكافية لامتداد الملكوت في كل ربوع الأرض. لقد كانوا في الواقع " عديمي العلم وعاميين " طبقا لمقاييس العالم (أعمال 4: 13)، لكنهم كانوا قابلين للتعلم. ومع أنهم كانوا أحيانا مخطئين في أحكامهم، متباطئين في إدراك الأمور الروحية، كانوا أمناء مستعدين للاعتراف بما يحتاجون إليه. وربما كانت تعوزهم اللباقة في تصرفاتهم، أو لعل مقدرتهم كانت محدودة، لكنهم – باستثناء الخائن يهوذا – كانت لهم قلوب كبيرة. فنرى شوقهم المخلص إلى الله وإلى معرفة الحقائق عن شخصيته. كما أن سطحية الحياة الدينية التي كانت محيطة بهم لم تقتل فيهم الرجاء المبارك بمجيء المسيا (يوحنا 1: 41 و 45 و 49، 6: 69). لقد سئموا رياء

وتصنيع القيادة الدينية والأرستقراطية الحاكمة. واشترك البعض منهم قبل ذلك في النهضة الروحية التي كان يقودها يوحنا المعمدان (يوحنا 1: 35). كان هؤلاء الرجال يتطلعون إلى من يهديهم طريق الخلاص. لقد استطاع المسيح أن يشكلهم ويكيف حياتهم في القالب الذي أراده لهم لأنهم كانوا أداة طيعة في يديه المباركتين. إن يسوع المسيح يستطيع أن يستخدم أي إنسان يرغب أن يشتغل في كرمه.

3- التركيز على فئة قليلة

هكذا، عندما نعلم إمكانية يسوع في استخدام أي شخص نرغب في تعلم استراتيجية ومنهجية المسيح. هنا تتجلى لنا حكمة الوسيلة التي كان يتبعها السيد في الكرازة. وفي سبيل ملاحظتها جيدا، لا بد لنا من الرجوع ثانية إلى المبدأ الأساسي في التركيز على أولئك الذين قصد أن يستخدمهم. إن الإنسان الواحد لا يستطيع أن يغير العالم كله إلا إذا تغير كل فرد في العالم على حدة. ولا يمكن للأفراد أن يتغيروا إلا إذا وضعوا بين يدي السيد ليشكلهم كما يحسن في عينيه. لذلك نرى الضرورة واضحة ليس فقط في اختيار عدد من الأشخاص ليقوموا بعمل الكرازة، ولكن في الاحتفاظ بأقل عدد ممكن من هذه المجموعة لكي يمكن العمل معهم بطريقة منتجة ومؤثرة.

من هنا نرى أنه بازدياد عدد التابعين ليسوع والملتفين حوله، كان من الضروري في نصف السنة الثانية من خدمته أن يضيق دائرة الفئة المختارة إلى أقل عدد ممكن. وبناء عليه " دعا يسوع تلاميذه، واختار

منهم اثني عشر الذين سماهم أيضا رسلاً " (لوقا 6: 13 – 17، قارن مرقس 3: 13–19). بغض النظر عن المعنى الرمزي في اختياره الاثني عشر تلميذا، فمن الواضح أن يسوع قصد من اختياره هؤلاء الرجال أن يكون لهم امتيازات فريدة ومسئوليات محددة في خدمة الملكوت.

هذا ليس معناه أن قرار المسيح باختياره الاثني عشر، حرم الآخرين من إتباعه. لأننا نعلم أن عدداً كبيراً كان من تابعيه. صار بعضهم خداما نافعين في الكنيسة. فعلى سبيل المثال لا الحصر، نذكر السبعين تلميذا (لوقا 10: 1)، ومرقس ولوقا اللذين كتبا البشارتين المنسوبتين لهما، ويعقوب أخا الرب (1 كورنثوس 15: 7 وغلاطية 2: 9و12، قارن يوحنا 2: 12 و 7: 2–10). ومع ذلك فانه لزام علينا أن نقرر هنا أن الأولوية التي أعطيت لغير الاثني عشر أخذت في التناقص السريع.

وكذلك في داخل المجموعة الرسولية المختارة، كان بطرس ويعقوب ويوحنا يتمتعون بعلاقة أوثق بالمسيح وأكثر تقربا إليه من التسعة الآخرين. فهؤلاء الثلاثة فقط دون غيرهم يدعوهم المسيح ليرافقوه إلى غرفة ابنة يايرس (مرقس 5: 37، لوقا 8: 51)، وهم وحدهم يصعدون مع السيد ويعاينون مجده على جبل التجلي (مرقس 9: 2، متى 17: 1، لوقا 9: 28). أيضا، كان هؤلاء الثلاثة قريبين من سيدهم وهو يصلي في بستان جثسيماني بين أشجار الزيتون (مرقس 14: 33، متى 26: 37).

كان تفضيل المسيح لهؤلاء الثلاثة شيئاً ملحوظاً، لدرجة انه لولا تجسد المحبة في شخص المسيح، لكانت مشاعر الحقد قد ملأت صدور

بقية التلاميذ ضد هؤلاء الثلاثة المفضلين. وحيث أن الوحي لا يسجل لنا شيئا من الشكوى من جراء تفضيل هؤلاء الثلاثة، مع أنهم تذمروا في مناسبات أخرى، فيمكننا أن نخرج بهذه النتيجة، وهي أن الأفضلية متى ظهرت بروح طيبة ولأجل غرض صالح فان الغيظ والحقد لا يكون لهما وجود.

4- مراعاة هذا المبدأ

كل هذا يؤكد لنا منهجية يسوع في الكرازة وكيفية استثمار حياته مع أولئك الذين كانوا يريدون أن يتدربوا على الكرازة، وهكذا تتضح حقيقة المبدأ الأساسي للتعليم وهو أنه كلما تركز الاهتمام بدائرة محدودة من الراغبين في التعليم كلما كانت الفرصة أعظم للتعليم المنتج والمثمر.

كرس يسوع الشطر الأكبر من بقية حياته على الأرض لهؤلاء التلاميذ القلائل. ولا نبالغ إذا قلنا أنه خصص كل خدمته لأجلهم. أبدى العالم عدم اكتراث به، لكنه لم يتغلب على الخطة التي وضعها المسيح نصب عينيه. لم يبال المسيح بتابعيه وهم ينفضون من حوله عند مواجهتهم بمعنى الملكوت (يوحنا 6: 66)، لكنه لم يستطع أن يحتمل أن يفقد تلاميذه المقربون إليه. كان عليهم أن يفهموا الحق ويتقدسوا به (يوحنا 17: 17)، وإلا ضاعت كل جهوده. وهكذا صلى ليس لأجل العالم، بل للقلائل الذين أعطاهم الله إياه من العالم (يوحنا 17: 6 و 9). كان كل شيء متوقفاً على أمانتهم إذ كان العالم سيؤمن به بواسطة كلامهم (يوحنا 17: 20).

5- من غير إهمال للجمهور

ومع ذلك فمن الخطأ أن نتصور – على أساس ما كنا نؤكده الآن أن يسوع لم يعن بالجماهير ولم يعرهم التفاتاً. هذا الزعم بعيد كل البعد عن الواقع. إن يسوع عمل أكثر من المتوقع من اجل الوصول إلى جموع الناس. وأول شيء قام به عند بدء خدمته العلنية هو ارتباطه واندماجه بالجماهير أثناء النهضة الروحية، إذ طلب من يوحنا المعمدان أن يعمده (مرقس 1: 11.9، متى 3: 13 . 17، لوقا 3: 21 و 22). بعد ذلك، اهتم بأن يمتدح عمل ذلك النبي العظيم (متى 11: 7 . 15، لوقا 7: 24 . 28)، وهو نفسه كان يكرز بصفة مستمرة للجموع التي تبعته وهو يصنع المعجزات. فقد علمهم بتعاليمه السامية. وأطعمهم عندما كانوا جياعا. وشفى مرضاهم. وأخرج الشياطين منهم. وبارك أطفالهم. وأحيانا، كان يقضي اليوم كله معهم ليخدم حاجياتهم لدرجة أنه لم يجد لحظة فراغ يأكل فيها طعاماً (مرقس 6: 31). وبكل طريقة ممكنة، أظهر يسوع لجماهير الشعب عطفاً حقيقياً واهتماماً قلبياً بالناس الذين جاء لكي يخلصهم. وقد أحبهم وبكى عليهم وأخيراً مات على الصليب لكي يخلصهم من خطيتهم. ولا يجرؤ أحد أن يقول أن يسوع أهمل الجماهير أو أعرض عن كرازتهم.

6- إثارة الجماهير لم تكن هدفه

في الواقع، خلقت مقدرة يسوع في التأثير على الجماهير مشكلة خطيرة في خدمته. لقد بلغ يسوع ذروة النجاح في التعبير عن عطفه

واقتداره لدرجة أنهم أرادوا مرة " أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا" (يوحنا 6: 15). قال تلاميذ يوحنا المعمدان في تقرير لهم أن الجميع يأتون إليه (يوحنا 3: 26) حتى اضطر الفريسيون أنفسهم للاعتراف فيما بينهم بأن " العالم قد ذهب وراءه " (يوحنا 12: 19). كانت هذه الحقيقة شديدة المرارة على رؤساء الكهنة والفريسيين فعقدوا مجمعا وقالوا " ماذا نصنع فان هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة. إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به" (يوحنا 11: 47 و 48). والشيء المؤكد أن سجل الإنجيل لم يشر تصريحاً أو تلميحاً أن يسوع كانت تنقصه القدرة على جذب الجماهير والتفافهم حوله. وقد ظلت شهرة المسيح إلى النهاية، بالرغم من أن ولاء الجماهير كان متسما بشيء من التردد. وكان الخوف من مشاعر الجماهير إزاء يسوع هو الذي حرك أعداءه للقبض عليه في غياب الشعب (مرقس 12: 12، متى 21: 26، لوقا 20: 19).

لو كان يسوع قد شجع هذا التحرك الشعبي نحوه، لاستطاع في سهولة ويسر أن يخضع ممالك العالم عند موطئ قدميه. كل ما كان عليه أن يفعله هو أن يشبع فضول الناس، ويهيأ لهم حاجاتهم الزمنية بسلطانه الفائق للطبيعة. هذه هي التجربة التي عرضها الشيطان على يسوع وهو في البرية حينما طلب منه أن يحول الحجارة إلى خبز، وأن يلقي بنفسه من فوق جناح الهيكل استناداً على حفظ الله له (متى 4: 1-7، لوقا 4: 1-4 و 9-13).

هذه الأشياء المثيرة لا بد أنها قادرة على تشجيع إعجاب الجماهير وتحمسهم. والواقع أن الشيطان لم يعرض عليه شيئاً من عنده عندما وعده

أن يعطيه ممالك العالم إذا سجد له (متى 4: 8–10). إن ذلك المخادع الأكبر قد علم جيداً أن يسوع سيجذب إليه جميع ممالك الأرض بطريقة تلقائية بمجرد أن يشغل نفسه بأمور الحياة الحاضرة، ويطرح مطالب الملكوت الأبدي جانباً.

لكن يسوع لم يكن هدفه في الحياة أن يثير الجماهير ويجذب إليه الأنظار. بل بالعكس كان يبذل جهداً كبيراً في الحد من حماس الجماهير التي شاهدت معجزاته (أنظر يوحنا 2: 23–3: 3 و 6: 26 و 27)، وأحيانا كثيرة كان يطلب ممن شفاهم ألا يذيعوا هذه الأخبار لكي يمنع حماس الجماهير الذين يمكن إثارتهم بسهولة. والتلاميذ الذين شاهدوا مجده على جبل التجلي " أوصاهم أن لا يحدثوا أحدا بما أبصروا إلا متى قام ابن الإنسان من الأموات " (مرقس 9: 9، متى 17: 9). وفي مناسبات أخرى كانت الجماهير تهتف له وتلتف من حوله، بينما كان يفلت منهم مع تلاميذه، ويمضي إلى مكان آخر لكي يواصل خدمته.

كثيراً ما أزعج هذا الموقف تابعيه الذين لم يفهموا خطته الاستراتيجية في الكرازة. وحتى أخوته وأخواته الذين لم يكونوا قد آمنوا به بعد، ألحوا عليه أن يغير هذا المسلك ويظهر نفسه للعالم، لكنه رفض أن يأخذ بنصيحتهم (يوحنا 7: 2–9).

7– فهم قليلون رسالته

وبازاء هذا التصرف لم يكن أمراً عجيباً أن نلاحظ أن عدداً قليلاً من الناس هم الذين تجددوا فعلاً تجديداً حقيقياً واضحاً أثناء خدمة المسيح. ونحن لا ننكر أن كثيرين آمنوا بالمسيح، بمعنى أن خدمته الإلهية كانت موضع القبول والارتياح لكن عدداً قليلاً منهم أدركوا فعلاً معنى الإنجيل. وربما كان العدد الإجمالي لأتباعه المخلصين حتى نهاية خدمته أكثر قليلاً من 500 أخ وهم الذين ظهر لهم يسوع بعد القيامة (1 كورنثوس 15: 6). أما الذين انتظروا في العلية في أورشليم لقبول معمودية الروح القدس فكانوا 120 نفساً فقط (أعمال 1: 15)، وليس هذا العدد صغيراً إذا وضعنا في الاعتبار أن خدمته العلنية لم تستمر أكثر من ثلاث سنوات. ومع ذلك فإذا أردنا أن نقيس نتائج كرازته بعدد المتجددين على يديه، فإننا لا نستطيع أن نضع يسوع بين عظماء المبشرين في تاريخ الكنيسة.

8- خطة يسوع الاستراتيجية

لماذا ركز يسوع اهتمامه على عدد قليل جداً من الناس؟ ألم يأت ليخلص العالم كله؟ ومع الإعلان الباهر الذي أعلنه يوحنا المعمدان أمام الجماهير المحتشدة كان في إمكان السيد بمنتهى السهولة أن يكسب آلاف الناس إذا أراد أراد ذلك. فلماذا لم ينتهز هذه الفرص ويجند جيشا قوياً من المؤمنين يستولون على العالم كالعاصفة؟ كان في مقدور ابن الله بكل تأكيد أن يضع لنفسه برنامجاً جذاباً يستميل إليه الجماهير في أقصر وقت

وبأقل مجهود. أليس مما يدعو إلى اليأس أنه رغم كل القوات الخاضعة لأمره لم يتبعه في النهاية ألا عدد قليل من التلاميذ البسطاء مع العلم أنه عاش ومات ليخلص العالم؟

إن الجواب على هذا السؤال يتركز في الغرض الحقيقي من خطته في الكرازة. إن يسوع لم يحاول أن يثير إعجاب الجماهير، لكنه جاء لكي يعلن الملكوت. هذا معناه أنه كان في احتياج إلى أشخاص تكون مهمتهم قيادة الجماهير. وأي خير يجنيه المسيح من إتباع الناس له إن لم يكن لهؤلاء الناس مرشدون ومعلمون لهدايتهم في طريق الحياة؟ لقد ظهر في مناسبات عديدة أن الجماهير كانت فريسة سائغة للآلهة الكاذبة إذ تركت بدون رعاية مناسبة. كانت الجماهير مثل أغنام تهيم على وجوهها بلا هدف أمامها إذ تركت بلا راع (مرقس 6: 34، متى 9: 36 و 14: 14). كانت على استعداد أن تسير وراء أي شخص يغريها بأي وعد، سواء كان هذا الشخص صديقاً أو عدواً. وهذه بلا شك مأساة الساعة. كان من السهل عليه إيقاظ التطلعات النبيلة في الناس، لكنهم كانوا ينخدعون سريعاً بأكاذيب السلطات الدينية الحاكمة.

إن قادة إسرائيل العميان روحياً (يوحنا 8: 44 و 9: 39–41 و 12: 40، قارن متى 23: 1–39) . مع أنهم قليلو العدد نسبياً . كانوا يسيطرون سيطرة تامة على مصائر الشعب. لهذا رأى يسوع أن هؤلاء المتجددين على يديه سيتعرضون للسقوط في الارتباك واليأس، وأن حالتهم الأخيرة ستكون أشر من الأولى ما لم يقم رجال أتقياء أقوياء لقيادتهم وحمايتهم وتثبيتهم في الحق المسيحي. وهكذا كانت خطة يسوع في الكرازة. إنه قبل

تقديم أي مساعدة روحية للعالم، يجب إقامة أناس أكفاء يستطيعون أن يقودوا الجماهير إلى أمور الله.

لقد كان يسوع واقعياً. فقد تحقق من ضعف وتقلب الطبيعة البشرية الساقطة، كما كان متأكدا من قوات الظلام وتجمعها ضد البشرية البائسة. وفي نور هذه المعرفة، وضع أساس كرازته على خطة تلتقي في النهاية بحاجات الناس.

كانت الجماهير بنفوسها الحائرة على استعداد أن تتبع يسوع، لكن المسيح كان في حاجة إلى أناس أمناء يتعاونون معه، ويعطون هؤلاء الناس ما يحتاجون إليه من رعاية وعناية. وكان أمله الوحيد أن يجد الناس الذين يأخذون من روحه ويتشربون بحياته فيستطيعون أن يقوموا لأجله بهذا العمل العظيم. ومن هنا نعلم أنه كرس نفسه لأجل أولئك الذين كان عليهم أن يكونوا البداية والطليعة لهذه القيادة. ومع أنه قدم المعونة اللازمة للجماهير على قدر ما أتسع له وقته وجهده، إلا أنه كان يقدس ذاته خصيصاً لعدد قليل من الناس (لا للجماهير) رغبة منه في أن تتمكن الجماهير في النهاية من الحصول على الخلاص. هذه الإستراتيجية عبقرية.

9- تطبيق المبدأ اليوم

مما يدعو للغرابة، أنه بالرغم من وضوح الخطة التي وضعها يسوع نصب عينيه للوصول إلى الجماهير، فان هذا المبدأ قلما يطبق عمليا في

هـذه الأيـام. إن معظـم مجهـودات الكنيسـة فـي الكـرازة تبـدأ بالجمـاهير، لاعتقادها أن عندها المؤهلات الكافية لحفظ النفوس التي تكسبها. والنتيجة أننـا نعلـق اليـوم أهميـة علـى منظـر الأعـداد الضـخمة للمتجـددين، وطـالبي المعموديـة، وازديـاد عضـوية الكنيسـة. وقلمـا نهـتم بالرعايـة الحقيقيـة لنفوس المتجـددين وبنيـانهم فـي محبـة وقـوة الله. ناهيـك عـن الاحتفـاظ بالعمـل والمثابرة فيه. وبالتأكيد إذا كان للمبدأ الذي مارسه المسيح أي معنى عندنا، فيجب أن يعلمنا أن الواجب الأول على الراعي (أو الكارز) أن يضع أساساً في البداية تبنى عليه خدمة تبشيرية مؤثرة ومستمرة للجماهير.

هـذا يتطلـب تركيـزا أكثـر فـي الوقـت والمواهـب، علـى فئـة قليلـة مـن أعضـاء الكنيسـة. وفـي نفس الوقت لا يجـب إطفـاء الجـذوة المتقدة لـربح العالم للمسيح. وهذا معناه إقامة قيادة مدربة " لعمل الخدمة " مع الراعي والخدام (افسس 4: 12) وأن عدداً قليلاً من الأشخاص المكرسين سوف يحركون العالم كله في الوقت المعين ليأتي إلى الله. إن المعركة لا يمكن أن يعقد لها لواء النصر عن طريق الجماهير.

لعل البعض يعترضون على ممارسة هذا المبدأ، بقولهم إن التحيز يلعب دوره في اختيار هؤلاء الأفراد القلائل من بين أعضاء الكنيسة. ولكن ليكن ما يكون فان هذا المبدأ لا يزال هو الطريق الذي كرس المسيح لأجله حياته، ومن الزم الأمور أن نطيعه عملياً إذا أردنا أن يكون لنا قيادة دائمة مدربة. وحيثما يمارس بمحبة صادقة للكنيسة كلها، وباهتمام لائق بحاجات الناس، فقد تتلاشى الاعتراضات عندما يرى المعترضون نجاح الخطة التي تركها لنا المسيح. ومهما كان الأمر فان الهدف يجب أن يكون واضحاً

أمام خادم الإنجيل، ولا يجب أن يكون هناك أي أثر للمحاباة في علاقته مع الجميع. وكل ما يعمل مع نفر قليل إنما يهدف لخلاص الجماهير.

10- مثل معاصر

هذا المبدأ . مبدأ الاختيار والتركيز . منقوش على صفحة الكون، ويأتي بنتائج مؤكدة بغض النظر عمن يمارسه، وسواء آمنت به الكنيسة أو لم تؤمن. فمثلا، انظر إلى أية برامج ناجحة تهدف إلى تدريب قادة ماهرين في إدارة الأعمال أو في المناصب الحكومية أو العسكرية. ومما يسترعي انتباهنا أن الشيوعيين . وهم حريصون دائماً على تطبيق ما يصلح من المبادئ . قد تبنوا على نطاق واسع هذه الطريقة التي وضعها الرب وكأنها من بنات أفكارهم. وقد استخدموها في أغراضهم الخاصة فبدئوا بحفنة من الغيورين منذ خمس وسبعين سنة وصار لهم . بفضل هذه الطريقة . أتباع في كل مكان، وبلغ عددهم في وقت من الأوقات ما يقرب من نصف سكان العالم. وقد برهنوا في عصرنا الحاضر على نجاح الخطة التي أشار إليها المسيح بوضوح، وهي أن الجماهير يمكن اكتسابها بسهولة إذا أحسن اختيار القيادة الرشيدة.

11- وقت للعمل

لقد حان الوقت الذي يجب على الكنيسة أن تواجه فيه الموقف بواقعية وجدية. إن أيامنا التي نقضيها في الترفيه تمضي هباءً. إن البرنامج

الكرازي للكنيسة . بأساليبه العصرية . قد أضر بكل جبهة تقريباً من جبهات العمل الكنسي. وفي معظم البلدان نجد أن الكنيسة المستضعفة ليست بقادرة على مسايرة الانفجار السكاني. وفي نفس الوقت تعمل قوات الشيطان في هذا العالم بلا هوادة، وبعزيمة جبارة في هجومها. وانه لأمر مؤلم أن يفكر المرء في هذه الحالة المحزنة. وفي عصرنا هذا لدينا التسهيلات الكثيرة لحمل الإنجيل بالمواصلات السريعة، إلا أننا أقل إنتاجا في ربح العالم للمسيح مما كنا عليه قبل اختراع وسائل المواصلات الحديثة.

وفي تقديرنا للحالة المحزنة التي وصلنا إليها اليوم، لا يجب أن يبلغ بنا الحماس إلى حد محاولة تغيير الاتجاه بين ليلة وضحاها. ولعل هذه هي مشكلتنا الكبرى التي نعاني منها كثيراً. وفي محاولة تغيير الأوضاع، قد وضعنا برنامجاً بعد برنامج آملين في توصيل كلمة الله المخلصة إلى الناس. ولكن ما فشلنا في إدراكه عندما حاقت بنا الهزيمة هو أن المشكلة الحقيقية ليست مع الجماهير وإيمانها وطريقة حكمها وتغذيتها. فكل هذه الأمور المهمة هي عرضة للاستغلال. فقد يستغل البعض الأمور المذكورة أعلاه لمنفعتهم الشخصية. وقبل أن نحل مشاكل استغلال الناس علينا أن نصل للذين يقودون الناس.

إن اهتمامنا الأول هو ربح وتدريب أولئك الذين سبق لهم أن شغلوا مراكز قيادية. ولكن إذا كنا لا نستطيع أن نبدأ من القمة، فلنبدأ حيث نحن، وندرب عدداً قليلاً من الأشخاص البسطاء المتواضعين ليكونوا فيما بعد القادة العظماء الناجحين في ربح النفوس للمسيح. ولنذكر أيضاً أنه ليس ضرورياً أن يكون الواحد منا متمتعاً بمركز مرموق في العالم لكي

يمكنه أن يخدم بنجاح في ملكوت الله. فان أي واحد يرغب رغبة صادقة في اتباع المسيح يستطيع أن يصير ذا قوة ونفوذ على العالم، بشرط أن يكون هذا الشخص بطبيعة الحال مدرباً تدريباً لائقاً للخدمة.

ومن هنا يجب أن نبدأ . تماماً مثلما فعل المسيح. وسيكون العمل في بادئ الأمر بطيئاً وشاقاً ومؤلماً. وربما لا يكون ملحوظاً من الناس ولكن النتيجة النهائية ستكون رائعة ومجيدة حتى ولو لم يقدر لنا أن نحيا حتى نراها بعيوننا. وإذا بدأنا بهذه الطريقة التي وضعها المسيح نكون قد اتخذنا قراراً كبيراً في الخدمة. وعلى المرء منا أن يقرر أين يريد أن تكون خدمته موضع التقدير. هل في الاستحسان الوقتي من الناس، أم في استثمار حياته في عدد قليل من الأشخاص المختارين الذين سيواصلون عمله بعد أن يمضي هو إلى المجد الأبدي؟

في الواقع، إن السؤال الذي يجب أن يسأله كل واحد منا لنفسه هو: لأي جيل نحن نخدم؟ يجب أن نمضي في خدمتنا بلا توقف. ومن اللازم لنا أن نرى كيف درب يسوع رجاله للقيام بعمله. إن المثال كله ما هو إلا جزء من نفس الطريقة التي سار عليها. وليس في مقدورنا أن نفصل جانباً عن الجانب الآخر بدون إلحاق الضرر بالخدمة ذاتها وزوال تأثيرها في الآخرين.

****

الفصل الثاني: الوجود معه

"ها أنا معكم كل الأيام" (متى 28: 20)

1- كان المسيح يمكث كثيراً مع تلاميذه

بعد أن أختار يسوع رجاله، كان من عادته أن يمكث معهم. وكان هذا جوهر برنامجه التدريبي، مجرد أن يدع تلاميذه يتبعونه. وعندما يقف الإنسان مفكراً في هذا الأمر، يشعر أنه من البساطة بحيث لا يكاد يصدقه. فلم يكن للمسيح مدرسة رسمية ولا كليات لاهوتية ولا خلاصة مواضيع للدراسة ولا فصول دراسية يسجل فيها أتباعه أسماءهم. لا شيء من هذه الإجراءات المنظمة، والتي لها روعة وأهمية في أيامنا. لا شيء من هذا القبيل كان له دخل إطلاقاً في خدمته. بهذه الصورة المذهلة في بساطتها، كان كل ما فعله يسوع لتعليم هؤلاء الرجال هو أن جذبهم إليه ليكونوا على الدوام بالقرب منه. كان هو المدرسة وكان هو المنهاج.

كانت طريقة يسوع الطبيعية تختلف كل الاختلاف عن طرق الكتبة الرسمية التقليدية. كان معلمو الدين في أيامه يلزمون تلاميذهم بالتمسك بفرائض وطقوس معينة، وحفظ صيغ مقررة من المعرفة، بها يمكنهم أن يمتازوا عن غيرهم. بالمقابل، كل الذي طلبه يسوع من تلاميذه هو أن يتبعوه ويقتفوا خطواته. لم يلقن يسوع المعرفة لتلاميذه في عبارات قانونية أو محفوظات عقائدية ولكن عن طريق شخصيته الحية اللامعة وهو يسير

بينهم. وكان تلاميذه ممتازين، لا بسبب تمسكهم بمظاهر خارجية أو اتباعهم طقوسا معينة ولكن لمجرد وجودهم معه، وبذلك استطاعوا أن يتلقوا التعليم منه مباشرة (يوحنا 18: 19).

2- المعرفة في الوجود معه

كان من نتيجة اتباع التلاميذ للمسيح أن عرفوا " أسرار ملكوت الله " (لو 8: 10). لقد حصلوا على المعرفة بواسطة اتباعهم للمسيح قبل أن يكتسبوها بالشرح والتوضيح. ولا نجد تعبيرا لهذه الحقيقة أفضل مما جاء على لسان المسيح عندما سأله واحد منهم وهو في حسرة بسبب عدم إدراك عقيدة الثالوث الأقدس كيف نعرف الطريق؟ وعندئذ أجابه المسيح: " أنا هو الطريق، والحق، والحياة " (يوحنا 14: 5 و 6). كأن المسيح يريد أن يقول: أنه هو الجواب لسؤال التلاميذ عن الثالوث لكنهم يحتاجون أن يفتحوا عيونهم على الحقيقة الروحية المتجسدة القائمة بينهم.

هذه الطريقة البسيطة للكرازة قد أعلنت من البداية عندما قدم يسوع الدعوة لأولئك الرجال الذين أرادوا أن يشغلوا مركز القيادة. وقد قال المسيح ليوحنا واندراوس " تعاليا وانظرا "، حيث كان المسيح يمكث (يوحنا 1: 39). ولم يقل المسيح أكثر من ذلك. لكنه بالتأكيد قال لهما أشياء أخرى أكثر من ذلك عندما ذهبا معه إلى حيث يقيم. وفي خلوة مع المسيح كان يكشف لهما عن طبيعته وعمله. وكذلك فيلبس، فقد وجه إليه المسيح نفس القول " اتبعني " (يوحنا 1: 43). وكان وقع هذه الكلمة البسيطة عظيماً على فيلبس، حتى أنه في تأثره دعا نثنائيل قائلاً له " تعال وأنظر" (يوحنا

1: 46). إن موعظة حية واحدة أفضل وأنفع من مائة برهان. وفيما بعد، التقى يسوع بيوحنا وبطرس واندراوس. وبينما كانوا يصلحون الشباك قال السيد نفس الكلمات المألوفة " هلموا ورائي". وفي هذه المرة أضاف على الدعوة سبباً وجيهاً إذ قال لهم " فأجعلكم صيادي الناس " (مرقس 1: 17 قارن متى 4: 19، لوقا 5: 10). وكذلك دعا متى وهو جالس عند مكان الجباية بنفس الدعوة " اتبعني " (مرقس 2: 14، متى 9: 9، لوقا 5: 27).

3- مراعاة المبدأ

انظروا إلى الاستراتيجية العظيمة لهذا المبدأ. إن المؤمنين استجابوا لهذه الدعوة وانضموا سريعاً إلى مدرسة السيد حيث اتسع فهمهم، وتثبت إيمانهم وكانت أمامهم بالتأكيد أمورا كثيرة أعلى من إدراكهم. واعترفوا بهذه المسائل العويصة عليهم وهم يسيرون معه. ولكن كل هذه المشاكل كانت ميسورة الحل طالما كانوا في رفقة يسوع. وفي حضوره استطاعوا أن يعرفوا ما كانوا في حاجة إلى معرفته.

قد أستخدم هذا المبدأ الذي طبقه المسيح من البداية. ظهر هذا المبدأ بوضوح عندما اختار من جماعة المؤمنين الاثني عشر تلميذا " ليكونوا معه " (مرقس 3: 14 قارن لوقا 6: 13). وأضاف أنه ينوي أن يرسلهم " ليكرزوا ويكون لهم سلطان على إخراج الشياطين ". ولكننا كثيراً ما نفشل في معرفة ما جاء أولاً: هل الوجود معه أو الكرازة بالإنجيل؟ أوضح يسوع لنا الأمر، إذ قبل أن يخرج التلاميذ " للكرازة " و "إخراج الشياطين" كان عليهم أن يكونوا معه. وفي الواقع، إن تعليمات المسيح في أن يكونوا في

شركة مستمرة معه جزءا مهما من تكليفهم تماما مثل تفويض الكرازة. بل كان الوجود معه أكثر أهمية إذ كان الإعداد اللازم للأمور اللاحقة.

4- ازدياد الصلة عند نهاية التدريب

مضى المسيح بعزيمة ثابتة في إتمام مهمة التدريب للتلاميذ إلى النهاية، وهذا واضح من الأخبار الأخيرة لسيرته. وعلى النقيض مما كان ينتظر إذ أنه عندما امتدت خدمة المسيح إلى السنتين الثانية والثالثة، أعطى تلاميذه المختارين وقتاً أطول. وكثيراً ما كان يأخذهم معه في خلوة إلى بقعة جبلية بعيداً عن الناس الذين يعرفونه لكي يتجنب . بقدر الإمكان . متاعب الظهور. وذهبوا معاً في رحلات كثيرة إلى صور وصيدا نحو الشمال الغربي (مرقس 7: 24، متى 15: 21)، وإلى حدود المدن العشر (مرقس 7: 3، قارن متى 15: 29)، وإلى نواحي دلمانوثة جنوب شرق الجليل (مرقس 8: 10، قارن متى 15: 39)، وإلى قرى قيصرية فيلبس إلى الشمال الشرقي (مرقس 8: 27، قارن متى 16: 13). وكانت هذه الرحلات . إلى حد ما . بسبب مقاومة الفريسيين وعداء هيرودس له. ولكن الغرض الأساسي منها أن يسوع شعر بالحاجة إلى الاختلاء مع تلاميذه. وبعد ذلك قضى يسوع عدة شهور مع تلاميذه في بيرية شرقي الأردن (لوقا 13: 22-19: 28، يوحنا 10: 40-11: 54، متى 19: 1-20: 34، مرقس 10: 1-52). وإذ اشتدت المقاومة ووصلت إلى ذروتها " لم يكن يسوع أيضاً يمشي بين اليهود علانية بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية إلى مدينة يقال لها افرايم ومكث هناك مع تلاميذه" (يوحنا 1 : 54). وعندما جاء الوقت أخيراً ليذهب إلى أورشليم، أخذ الاثني عشر

تلميذاً على انفراد، وهو يمضي في طريقه متأنياً إلى المدينة (متى 20: 17، قارن مرقس 13: 32).

إذا أخذنا كل ما سبق بعين الاعتبار، لا نستغرب من عدم سماح يسوع للتلاميذ أن يبتعدوا عنه في أسبوع الآلام. فلم يسمح أن يبتعدوا عنه إلا نادراً. وحتى وهو يصلي وحده في جثسيماني، لم يكن تلاميذه بعيدين عنه إلا مسافة رمية حجر (لوقا 22: 41). أليس هذا بالضبط ما تفعله كل أسرة عندما تدنو ساعة الرحيل؟ إن كل دقيقة لها قيمتها، لأن هذا الارتباط الجسدي الوثيق ستنفصم عراه بلا عودة. والكلمات التي تقال في مناسبة كهذه يكون لها وقع خاص وذكر دائم. وفي الواقع، لم يكن التلاميذ على استعداد لتفهم الكثير من المعاني العميقة لوجوده معهم، إلا عند قرب النهاية (يوحنا 16: 4). وهذا يوضح السبب الذي لأجله خصص كتاب الأناجيل الأربعة كثيراً من اهتمامهم بهذه الأيام الأخيرة من حياة المسيح. إن نصف ما سجل عن يسوع حدث في الشهور الأخيرة من حياته.

إن المنهج الذي أتبعه يسوع طوال حياته، سار عليه أيضاً في الأيام التي تلت القيامة. ومما تلذ ملاحظته أنه في كل مرة من مرات ظهوره العشرة، كانت مخصصة لتابعيه وعلى وجه الخصوص لتلاميذه المختارين. وعلى قدر ما يكشف لنا الإنجيل فانه لم يكن مسموحاً لشخص واحد غير مؤمن أن يرى الرب الممجد، ومع ذلك لم يكن هذا بالأمر الغريب، إذ لم تكن هناك حاجة لإثارة الجماهير بإعلان ظهوره وما الذي كان في استطاعتهم أن يفعلوه؟ أما التلاميذ الذين فروا يائسين بعد الصلب. كانوا في حاجة إلى إنعاش إيمانهم وتثبيتهم في الرسالة الموكولة إليهم. كانت

خدمته كلها تدور حولهم وتتعلق بهم. وهذا ما حدث بالفعل، فان الوقت الذي استثمره يسوع مع تلاميذه القلائل كان اكثر جداً من الوقت الذي أعطاه لغيرهم، مما يدل أوضح الدلالة على أن هذا التصرف كان نابعاً من استراتيجية موضوعة بتصميم.

وبالفعل أمضى يسوع مع تلاميذه وقتاً أطول مما أمضاه مع كل الناس في العالم مجتمعين معا. فقد أكل معهم، ونام معهم، وتحدث معهم خلال معظم أوقات خدمته. لقد ساروا معا في الطرق البعيدة عن العمران منفردين. وزاروا معا المدن المكتظة بالسكان. وعبروا معا بحر الجليل. وصادوا السمك معا. وصلوا معا في الصحارى والجبال. وتعبدوا لله معا في الهيكل وفي المجامع.

5- ومع ذلك فلم يزل في خدمة الجماهير

لا يمكن للإنسان أن يتجاهل أيضاً أنه بينما كان يسوع يخدم الجماهير، كان التلاميذ دائماً معه. وسواء كان يخاطب الجماهير المحتشدة حوله، أو يتحادث مع الكتبة والفريسيين الذين أرادوا أن يصطادوه بكلمة، أو يتكلم إلى شحاذ متجول في الطريق، كان التلاميذ بالقرب منه ملازمين له وكلهم عيون تلاحظ وآذان تصغي. وبهذه الطريقة كان يسوع يستثمر وقته استثماراً مضاعفاً. فهو دون أن يهمل الجماهير أو يغض الطرف عن حاجاتهم، يقوم بخدمة مستمرة لتلاميذه بوجودهم معه. وهكذا كانوا يستفيدون من كل ما كان يقوله أو يفعله للآخرين، بالإضافة إلى ما كان يقدم لهم من تفسير، وما يدلي إليهم من مشورة.

6- هذا كله يأخذ وقتا

وكان معنى هذه الشركة الوثيقة المستمرة أن يسوع لم يكن له وقت يستطيع أن يسميه وقته الخاص به. وكأطفال صغار يطلبون انتباه والديهم، هكذا كان التلاميذ دائما عند قدمي السيد. وحتى الوقت الذي كان يقضيه في تعبده الشخصي كان معرضا لمقاطعة التلاميذ له (مرقس 6: 46-48، قارن لوقا 11: 1) لكن يسوع لم يرد أن تتغير خطته معهم. كانت رغبته أن يكونوا دائماً معه، إذ كانوا أولاده بالروح (مرقس 10: 24، يوحنا 13: 33 و 21: 5). إن الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها الأب أن يربي أولاده تربية مناسبة، هي الإكثار من الوجود معهم.

7- أساس المتابعة

ومع أن هذا المبدأ واضح كل الوضوح، إلا أنه مهمل تماما. وهو بطبيعته مألوف لا يشد الانتباه ومن عادة الإنسان أن يتجاهل الأمور العادية ولا يعيرها اهتماما. ومع ذلك فان المسيح لم يرغب أبدا في أن يفقد التلاميذ أهمية هذا المبدأ. وفي أثناء الأيام الأخيرة من حياته شعر السيد أنه من اللازم أن يبلور في تفكيره ما كان يقوم به من أعمال. فمثلاً، التفت يوماً إلى الذين كانوا يتبعونه مدة ثلاث سنوات وقال لهم: وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء (يوحنا 15: 27). وبدون دعاية أو نفخ في الأبواق، ومن غير أن يلحظه أحد من الناس، كان يسوع يقول أنه يدرب رجالا ليكونوا شهوداً له بعد أن يمضي من هذا العالم. وكانت طريقته في

تدريبهم تنحصر في الوجود معهم. أو كما قال في مناسبة أخرى أنه بسبب ثباتهم معه في تجاربه قد عينهم ليكونوا قادة في ملكوته الأزلي حيث يأكلون ويشربون على مائدته، ويجلسون على عروش ويدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر (لوقا 22: 28-30).

ومن الخطأ أن نعتقد أن المتابعة كانت محصورة بالتلاميذ. نعم، ركز يسوع اهتمامه على رجاله المختارين لكنه اهتم أيضا باتباع آخرين. فعلى سبيل المثال، بعد توبة زكا وخلاصه في شوارع أريحا، ذهب يسوع إلى منزله ومكث عنده (لوقا 19: 7). أيضا، نلاحظ انه بعد توبة وخلاص المرأة السامرية مكث يسوع يومين في سوخار ليعلم أهلها. يقول الكتاب: " فآمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب كلام المرأة " (يوحنا 4: 39). قضى يسوع معهم بعض الوقت مما أدى إلى انضمام أشخاص كثيرين إلى الإيمان. يقول الكتاب أنه آمن به كثيرين ليس بسبب كلام المرأة لكن بسبب سماع السيد المسيح وجها لوجه (يوحنا 4: 41 – 42). لقد سمح يسوع للناس الذين لمس حياتهم أن يكونوا من أتباعه. فعلى سبيل المثال، انضم بارتيماوس الأعمى إلى موكب أتباع يسوع (مرقس 10: 52، متى 20: 34، لوقا 18: 43). وبهذا نرى أن الكثيرين شاركوا التلاميذ الاثني عشر اتباع سيدهم اختبروا عنايته. وما يدل على هذا الأمر بوضوح هو التلاميذ السبعين الذين كانوا مع يسوع عندما خدم مناطق اليهودية (لوقا 10: 1، 17). نعم، اعتنى يسوع بكل هؤلاء لكنه لم يعتن بهم كما اعتنى واهتم بالاثني عشر تلميذا.

وجدير بنا أن نذكر أيضا تلك الجماعة الصغيرة من النساء الأمينات اللواتي كن يخدمن المسيح من أموالهن أمثال مريم ومرثا (لوقا 10: 38-42) ومريم المجدلية ويونا وسوسنة، وأخريات كثيرات (لوقا 8: 1-3) وبعض هؤلاء النساء كن معه حتى النهاية. وهو بالطبع لم يرفض خدمتهن الكريمة. وكثيراً ما انتهز الفرصة في تقوية إيمانهن. ومع أنه رحب بمساعدتهن إلا أنه لم يضم أولئك السيدات إلى الجماعة المختارة من تلاميذه. لم يكن عند يسوع متسع من الوقت لرعاية جميع هؤلاء الناس، سواء كانوا من الرجال أو النساء. وهذا العدد المتزايد من المؤمنين وضع على عاتق التلاميذ مسئولية رعايتهم. ولكن كان على يسوع أن يكرس نفسه بوجه أخص لمهمة تدريب هؤلاء التلاميذ ليحملوا العبء، ويقوموا برعاية المتجددين حديثاً على الوجه الأكمل.

8- الكنيسة: شركة مستمرة

في الحقيقة، إن المشكلة في إعطاء الرعاية الشخصية لكل مؤمن لا تجد حلا لها إلا في الفهم الكامل لطبيعة ورسالة الكنيسة. ويحسن بنا أن نلاحظ هنا أن سير الكنيسة على هذا المبدأ حيث يتاح لكل مؤمن أن يدخل في شركة مع جميع المؤمنين هو ما كان يسير عليه السيد نفسه، إنما بتوسع أكثر مع الاثني عشر تلميذا. ولقد كانت الكنيسة هي الواسطة لمتابعة جميع الذين تبعوا المسيح. ومعنى هذا الكلام أن جميع المؤمنين صاروا جسد المسيح، وان كل عضو قام بخدمة كل عضو آخر سواء كانوا منفردين أو مجتمعين. إن كل عضو في أهل الإيمان عليه جانب حيوي من تكملة هذه الخدمة. وكان في مقدرتهم أن يقوموا بهذه الخدمة لأنهم

كانوا ملهمين ومدربين: وطالما كان يسوع معهم في الجسد فقد كان لهم الرأس والقائد. ولكن فيما بعد، كان من الضروري على أعضاء الكنيسة أن يقوموا بدور القيادة تحت إرشاد الروح القدس. وللمرة الثانية، نقول أن هذا معناه أن يسوع كان عليه أن يدرب تلاميذه على القيام بهذا العمل الذي كان يتطلب شركته الشخصية المستمرة معهم. وعلى هذا المنوال، يجب أن يسير التلاميذ مع اتباعهم.

9- مشكلتنا

متى تتعلم الكنيسة هذا الدرس الكبير؟ إن الوعظ للجماهير . مع لزومه . لا يكفي أبداً لإعداد القادة للكرازة. كما أن اجتماعات الصلاة لمناسبات خاصة، وفصول التدريب للخدام المسيحيين لا تؤدي هذا الغرض. إن بناء الحياة الروحية للناس ليس بهذه السهولة فهو بتطلب مداومة الرعاية الشخصية لهم، تماماً مثل الرعاية التي يعطيها الأب لأولاده. وهذا شيء ليس في ميسور أية منظمة أو أي فصل مدرسي أن يقوم به. إن الوالدين لا يوكلون أحدا غيرهم للقيام بمهمة تربية أولادهم. إن مثال المسيح يعلمنا أن هذا الغرض يتحقق فقط بوجود الأشخاص جنبا إلى جنب مع الذين يرغبون في إرشادهم.

ومن الواضح أن الكنيسة قد فشلت في هذا الأمر، وفشلت بشكل يدعو إلى الرثاء. فالكلام كثير في الكنيسة حول الكرازة والتنمية المسيحية، ولكن الاهتمام قليل بالشركة الشخصية مع الذين نريد أن نخدمهم، وخصوصاً عندما يتطلب هذا العمل تضحية خاصة من جانبنا. ولا جدال في أن

معظم الكنائس تهتم بإلحاق الأعضاء الجدد بصفوف طالبي الانضمام، التي تجتمع ساعة واحدة كل أسبوع لمدة شهر واحد أو أكثر من ذلك. ولكن الشاب المتجدد حديثاً لا يتعرض لبرنامج مسيحي واضح، إلا إذا كانت له فرصة لحضور الخدمات التعبدية بالكنيسة ومدرسة الأحد.

وما لم يكن للمسيحي الجديد أبوان مسيحيان أو أصدقاء مسيحيون يستطيعون أن يملئوا هذه الثغرة بطريقة حقيقية، فانه يترك وحده باحثا عن حلول لمشاكله العملية العديدة التي تواجه حياته. وان أية مشكلة من هذه المشاكل قد تكون سببا في ضياع إيمانه.

وبمثل هذه المتابعة العرضية لا عجب إذا كان نصف الذين ينضمون للكنيسة بالإقرار ينحرفون أو يفقدون تألق الاختبار المسيحي الأول. وقليلون هم الذين ينمون في النعمة والمعرفة، بحيث يمكنهم أن يقوموا بخدمة ما لامتداد الملكوت. وإذا كانت خدمات يوم الأحد وفصول تدريب الأعضاء هي كل ما تقدمه الكنيسة للمتجددين حديثا لسيرهم نحو النضوج الروحي، فلا بد أنهم يخفقون في تحقيق أغراضهم. وإذا كان الشخص يتبع مثل هذا البرنامج الضعيف فانه يضره أكثر مما ينفعه. وببساطة وصراحة، أقول أنه لا يوجد بديل للاتصال الشخصي بالناس. ومن العبث أن نأمل نجاحا في إنشاء قيادة مسيحية قوية بهذه الطرق إلا إذا حدثت معجزة. وإذا كان يسوع ابن الله الممجد وجد أنه من الضروري أن يمكث بصفة مستمرة مع تلاميذه القلائل جداً مدى ثلاث سنين، ومع ذلك فان واحدا منهم انحرف عن الطريق المستقيم ومضى إلى مكانه، كيف تنتظر كنيسة أن تقوم بهذا

العمل في اجتماع كبير يعقد مرة في الأسبوع فتكون أيام اللقاء قليلة بالنسبة لكل السنة؟

10- تطبيق المبدأ اليوم

إن خطة يسوع في هذه النقطة، تعلمنا بوضوح أن أية طريقة تتبناها الكنيسة للمتابعة يجب أن يكون أساسها الرعاية الشخصية لأولئك الذين تؤتمن على رعايتهم. وأن أية طريقة أخرى ستؤدي إلى ترك المؤمنين الجدد للشيطان. هذا معناه أن أي نظام تسير عليه الكنيسة، يجب أن يضع كل متجدد في يد صديق مسيحي أمين، إلى أن ينضج روحيا، ويقوم بدوره بتلمذة شخص آخر. وعلى هذا المؤمن الذي جاء بإنسان إلى المسيح أن يستمر في ملازمته له كلما أمكنه ذلك، فيدرسان الكتاب المقدس معا، ويصليان معا. كما أن على هذا المؤمن الناضج أن يجيب المؤمن الحديث الإيمان على أسئلته، موضحا له الحق، ويسعى معه في مساعدة الآخرين. وإذا لم يكن في الكنيسة قادة مكرسون يرغبون في القيام بهذه الخدمة، فعليها أن تدرب بعض أعضائها لهذا الغرض العظيم. إن الطريق الوحيد لتدريبهم هو إعطائهم قائداً يتبعونه.

هذا هو الجواب على سؤال كثيراً ما يتردد في أذهاننا، وهو: كيف تدرب أعضاء الكنيسة على القيادة؟ ويجب أن ندرك أن هذه الطريقة ستحقق الغرض منها عندما يمارس التابعون ما يتعلمونه عمليا. وهنا يبرز أمامنا مبدأ أساسي آخر من المبادئ التي وضعها المسيح في خطته.

****

الفصل الثالث: التكريـس

" احملوا نيري عليكم " (متى 11: 29)

1- الطاعة هي المطلب الأول

انتظر المسيح من الأشخاص الذين تبعوه أن يطيعوه، فلم يخترهم لأنهم وجهاء بل مخلصين أوفياء. وكان الولاء لسيدهم من العلامات المميزة التي يعرفون بها، فدعوا " تلاميذ " بمعنى " المتعلمين " من السيد، ولم يسموا " مسيحيين " إلا بعد ذلك بوقت طويل (أعمال 11: 26) مع أن هذه التسمية الجديدة كانت أمرا حتميا لا بد منه، لأن التابعين المطيعين لسيدهم ينتمون له ويأخذون طبيعته.

إن بساطة هذا الاتجاه كانت أمراً عجيباً أن لم يكن مذهلاً. فلم يطلب من أي واحد من التلاميذ أن يقر بما يؤمن به، أو يقبل عقيدة محددة، ولو أنهم عرفوا بما لا يدع مجالاً للشك بأن يسوع هو المسيا المنتظر (يوحنا 1: 41 و 45 و 49، لوقا 5: 8). كان كل المطلوب منهم في بادئ الأمر أن يتبعوا يسوع. وبالطبع كانت دعوتهم الأولى تتضمن دعوة إلى الإيمان بشخص المسيح والطاعة لكلامه. وإذا لم يكن هذا الأمر مفهوما عندهم من البداية، فلا بد أنهم أدركوا ذلك خلال اتباعهم للسيد وسيرهم معه. ولا يتبع إنسان شخصاً آخر ما لم تتوفر عنده الثقة فيه. ولا يستطيع أن يخطو

خطوة الإيمان بإخلاص، ما لم يكن راغباً من كل قلبه أن يطيع قائده في كل ما يقول.

2- طريق الصليب

كان اتباع يسوع يبدو في منتهى السهولة في أول الأمر. وكان عندهم ذلك التصور لأنهم لم يكونوا قد تبعوه إلى مسافة بعيدة. واتضح لهم فيما بعد أن قبولهم تلمذة السيد المسيح ينطوي على شيء اكثر من القبول الفرح للوعد بمجيء المسيا. إن تلمذة السيد المسيح معناها تسليم الحياة بجملتها للسيد في خضوع مطلق لسلطانه. ليس هناك مجال للمساومة.

" لا يقدر خادم أن يخدم سيدين، لأنه أما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال " (لوقا 16: 13). كان لزاما عليهم أن يتركوا الخطية نهائياً. كما أن عادات ومسرات هذا العالم، وطرق التفكير القديمة، كان من الواجب أن تطبع بطابع النظام الجديد لملكوت الله (متى 5: 1 – 7: 29، لوقا 6: 20–49). إن المحبة الكاملة هي القانون الجديد للسلوك(متى 5: 48) وعلى هذه المحبة أن تظهر نفسها في الطاعة للمسيح (يوحنا 14: 21 و 23) وتعبر عن وجودها بالإخلاص للذين مات المسيح ليخلصهم (متى 25: 31–36). وكان الصليب واضحاً في هذه الحياة الجديدة أي الرضى بإنكار الذات لأجل الآخرين (مرقس 8: 34–38 و 10: 32–45، متى 16: 24– 26، 20: 17–28، لوقا 9: 23–25، يوحنا 12: 25و26و13: 1–20).

هذا التعليم قوي. لم يستطع كثيرون منهم أن يقبلوه. لقد رحبوا أن يكونوا تابعيه عندما ملأ بطونهم بالخبز والسمك. لكن عندما بدأ يسوع يحدثهم عن مميزات الملكوت وصفاته الروحية، وعن التضحية اللازمة للدخول فيه (يوحنا 6: 25–59)، رجع كثيرون من تلاميذه ولم يعودوا يمشون معه (يوحنا 6: 66). وعبروا عن ذلك بقولهم " إن هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه " ؟ (يوحنا 6: 60). والشيء المدهش انه لم يجر وراءهم محاولاً أن يعيدهم إليه ليحتفظوا بأسمائهم في سجل العضوية. أنه كان يدرب قادة الملكوت، وإذا أرادوا أن يكونوا أواني صالحة للخدمة، كان عليهم أن يدفعوا الثمن.

3– وجوب حساب النفقة

إن الذين لم يرغبوا في مواصلة السير مع يسوع، سقطوا بجانب الطريق، وفصلوا أنفسهم عن الجماعة المختارة بسبب محبتهم لذواتهم. فيهوذا، مثلاً، انكشف أمره أنه شيطان (يوحنا 6: 70). واستمر على ذلك حتى النهاية. وأخيراً قاده الطمع إلى أسوأ مصير (مرقس 14: 10و11و43و44، متى 26: 14–16 و 47–50، لوقا 22: 3–6 و 47–49، يوحنا 18: 2–9). وبالإجمال لا يستطيع الإنسان أن يتبع يسوع إلى النهاية دون أن ينفصل عن العالم. وأما الذين تبعوه ادعاء فلم يجلبوا على أنفسهم إلا الندم والحسرة (متى 27: 3–10، أعمال 1: 18 و 19).

ولعل هذا هو السبب الذي لأجله تكلم المسيح بقسوة مع الكاتب الذي جاء إليه قائلاً " يا معلم أتبعك أينما تمضي". فأجاب يسوع بصراحة على هذا المتطوع للخدمة بأن اتباعه ليس سهلاً. قال يسوع: " للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه" (متى 8: 19و20، لوقا 9: 57، 58). وطلب منه تلميذ آخر أن يعفيه من واجب الالتزام المباشر له، ويمضي للعناية بأبيه الشيخ، لكن يسوع لم يسمح له بذلك، بل قال له "اتبعني ودع الموتى يدفنون موتاهم وأما أنت فاذهب وناد بملكوت الله" (متى 8: 21و22، لوقا 9: 59 و60). وأظهر شخص آخر رغبته في اتباع يسوع، ولكن على شرط أن يتم ذلك في الوقت الذي يناسبه. فقد طلب من المسيح أن يأذن له بالذهاب لتوديع أهل بيته لعله كان يتمنى أن تكون له فرصة أكثر صلاحية لتنفيذ رغبته. لكن يسوع قال له بصريح العبارة " ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله" (لوقا 9: 62). لم يكن عند المسيح الوقت ولا الرغبة ليشتت نفسه بين أولئك الذين يضعون شروطاً معينة للتلمذة.

ولهذا كان على كل شخص يرغب في التلمذة أن يجلس أولا ويحسب حساب النفقة ". يقول الكتاب: "ومن منكم وهو يريد أن يبني برجاً لا يجلس أولاً ويحسب النفقة، هل عنده ما يلزم لكماله؟ " (لوقا 4: 28). وإذا لم يفعل ذلك يعرض نفسه للسخرية من الناس. ويطبق هذا الكلام أيضاً على الملك الذي يكون في حالة حرب مع ملك آخر ولا يحسب تكاليف النصر قبل أن يبدأ العداء. يلخص المسيح كل هذا فيقول " فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذا" (لوقا 14: 33، قارن مرقس 20: 21، متى 19: 21، لوقا 18: 22).

4- قليلون يدفعون الثمن

وعندما تركه منتهزو الفرص في كفرناحوم لأنه لم يحقق لهم مآربهم. لم يبق معه إلا حفنة من الاتباع الأمناء. والتفت إلى الاثني عشر وقال لهم " ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا؟ " (يوحنا 6: 67). وكان هذا السؤال حاسماً، إذ كان يريد أن يأخذ منهم قرارا نهائيا قاطعاً. ولو كان هؤلاء الرجال القلائل قد تركوا يسوع فمن يتبقى معه كثمرة لخدمته؟ لكن سمعان بطرس أجابه على الفور كعادته قائلا: " إلى من نذهب يا رب؟ وكلام الحياة الأبدية عندك، ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي " (يوحنا 6: 68 و 69). وفي الواقع، كانت هذه الكلمات التي نطق بها بطرس مطمئنة لقلب المسيح، لأنه ابتدأ بعد ذلك يكثر من الحديث مع تلاميذه عن آلامه وموته. وكان يتكلم بذلك بأكثر صراحة مما أعتاد في الماضي.

5- الطاعة هي الطريق إلى المعرفة

ومع كل ذلك، فليس معنى هذا أن التلاميذ فهموا سريعا كل ما قاله المسيح عن الألم والموت. بل على النقيض من ذلك، لم يدركوا الحقائق العميقة لموت المسيح الكفاري. كانت كل حدود الضعف البشري تعيق مقدرتهم على الفهم والإدراك. أخبر يسوع التلاميذ بعد التصريح العظيم في قيصرية فيلبس، بأن زعماء اليهود سوف يقومون عليه ويقتلونه في

أورشليم. وبمجرد أن نطق يسوع بهذا الكلام أقترب منه بطرس، وأنتهره قائلاً له " حاشاك يا رب. لن يكون لك هذا " (متى 16: 22، قارن مرقس 8: 32). وعليه، لم يكن أمام المسيح إلا أن يقول للصياد الكبير أن الشيطان خدعه في تلك اللحظة " لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس " (متى 16: 23، مرقس 8: 33). وحتى هذا الكلام لم يضع حداً نهائياً لعدم فهمهم. شعر المسيح مرارا وتكرارا بلزوم الحديث معهم عن موته، وما ينطوي عليه من معان سامية لهم، لكنهم لم يكن في طاقتهم أن يستوعبوا هذه الحقيقة إلا بعد أن سُلم لأيدي أعدائه.

وإذ لم يدركوا بوضوح رسالة الصليب، لم يفهموا على وجه اليقين مكانهم الحقيقي في الملكوت. كان صعباً عليهم أن يقبلوا تعليم المسيح عن التواضع وخدمة الآخرين (لوقا 22: 24–30، يوحنا 13: 1–20). وحدثت مشاجرة فيما بينهم حول من منهم يكون الأعظم في الملكوت (مرقس 9: 33–37، متى 18: 1–5، لوقا 9: 46–48). رغبا يعقوب ويوحنا أن يكون لهما أعظم مكانين (مرقس 10: 35–37، متى 20: 20)، أما العشرة التلاميذ الآخرين فلقد غاروا واغتاظوا (مرقس 10: 41، متى 20: 24)، وكانوا قساة في حكمهم على من يختلف معهم في الرأي من غير ضرورة لهذه القسوة (لوقا 9: 51–54). لقد نظروا بغضب إلى الوالدين الذين طلبوا من يسوع أن يبارك أطفالهم (مرقس 10: 13). ومن الواضح أنهم لم يختبروا تماماً المعنى الحقيقي لإتباع المسيح.

ومع ذلك، فان يسوع احتمل بصبر الضعفات البشرية لتلاميذه المختارين، لأنهم بالرغم من كل عيوبهم وتقصيراتهم كانوا راغبين في أن

يتبعوه. ونقرأ عنهم أنهم بعد دعوتهم الأولى بوقت قصير عادوا إلى مهنتهم الأصلية في صيد السمك (مرقس 1: 16 ومتى 4: 18، لوقا 5: 2–5، قارن يوحنا 1: 35–42). ولكن عودتهم إلى صيد السمك لم يبد أنه عمل من أعمال العصيان والتمرد. وكل ما في الأمر أنهم لم يتحققوا غرضه العظيم لحياتهم في القيادة، أو لعل المسيح لم يكن قد أخبرهم بعد بهذا القصد السامي. وكيفما كان الأمر، فانه عندما التقى بهم أثناء عملهم ودعاهم ليصيروا صيادي الناس. في الحال، تركوا كل شيء وتبعوه (لوقا 5: 11، قارن متى 4: 22، مرقس 1: 20). وبعد ذلك بفترة من الزمن، وبالرغم من أنه كان يعوزهم الكثير ليتعلموه، فقد كان في إمكانهم أن يقولوا أنهم لا يزالون على ولائهم للمسيح (مرقس 10: 28، متى 19: 27، لوقا 18: 28). مع رجال من هذا الطراز، كان يسوع مستعداً أن يغض الطرف عن كل النقائص التي نتجت عن عدم نضوجهم الروحي. كان يسوع على يقين أنهم سوف يتغلبون على هذه النقائص وهم في طريقهم إلى النمو في النعمة والمعرفة، وان آفاقهم الروحية ستتسع لتقبل الوحي الإلهي طالما كانوا مستمرين في ممارسة وتطبيق الحق الذي يفهمونه بطريقة شخصية وعملية.

وبهذه الكيفية، كانت الطاعة للمسيح هي الوسيلة الفعالة التي استطاع بها تلاميذه أن يتعلموا مزيدا من الحق. أنه لم يطلب من تلاميذه أن يتبعوا إلا الحق ولكن ما من أحد استطاع أن يتبعه دون أن يعلم ما هو الحق (يوحنا 7: 17). لهذا السبب، لم يدفع يسوع تلاميذه إلى تسليم حياتهم إلى عقيدة، بل إلى شخص كان هو العقيدة، وعن طريق ثباتهم في كلمته كان في مقدورهم أن يعرفوا الحق (يوحنا 8: 31 و 32).

6- برهان المحبة

كانت الطاعة الكاملة للمسيح تعبيرا عن محبتهم له. وقد فهموا هذا الدرس العظيم بوضوح في الليلة التي أسلم فيها. فقد اجتمع التلاميذ في العلية وعلى أثر تناولهم الفصح قال لهم المسيح " إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ... الذي عنده وصاياي ويحفظها يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي ... إن احبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلا ... الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي أرسلني... إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي ... هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم أنا ... أنتم أحبائي إن فعلتم ما أوصيكم به" (يوحنا 14: 15 و 21 و 23 و 24 و 15: 10 و 12).

7- يسوع يؤيد القول بالعمل

كانت الطاعة المطلقة لإرادة الله هي المبدأ الأساسي في حياة السيد. وفي طبيعته البشرية خضع تمام الخضوع وبصفة مستمرة لإرادة الآب مما جعله يحقق الغرض المقصود من حياته على الوجه الأكمل. كان يقول ويعيد القول " طعامي أن أعمل إرادة الذي أرسلني وأتمم عمله " (يوحنا 4:

34)، " لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني" (يوحنا 5: 30، قارن 6: 38)، " حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته " (يوحنا 15: 10، قارن 17: 4). ولخص هذا التسليم الكامل في صرخته وهو في بستان جثسيماني، " لتكن لا إرادتي بل إرادتك " (لوقا 22: 42، قارن مرقس 14: 36، متى 26: 39و42و44).

كان الصليب ذروة تسليم يسوع لإرادة الله تسليما كاملا. وقد أثبت يسوع . بالدليل القاطع . أن التسليم الكامل لا جدال فيه أو مساومة، بل تسليم حتى الموت. إن أصحاب العقول العالمية . من رجال الدين اليهودي . عبروا عن الحقيقة عندما قالوا في سخرية: " خلص آخرين وأما نفسه فلا يقدر أن يخلصها " (مرقس 15: 31، متى 27: 42، لوقا 23: 35). وهذا هو عين الصواب، إذ لم يختار أن يخلص نفسه لأنه لم يأت لكي يخلص نفسه، بل أتى لكي يخلص العالم. انه جاء " لا لكي يُخدم بل لك يَخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين " (مرقس 10: 45، متى 20: 28). انه جاء " لكي يطلب ويخلص ما قد هلك " (لوقا 19: 10). جاء لكي يقدم نفسه ذبيحة لله لأجل خطايا جميع الناس. جاء لكي يموت. لم يكن أمامه طريق آخر لإرضاء الشريعة الإلهية العادلة.

هذا الصليب، الذي كان قد قبله منذ الأزل (رؤيا 13: 8، قارن أعمال 2: 32) جعل كل خطوة من خطوات المسيح على الأرض بمثابة قبول مطلق لقصد الله الأزلي في حياته. لهذا السبب، عندما تكلم المسيح عن الطاعة، كانت الطاعة شيئاً ملموساً في حياته لدرجة أن التلاميذ استطاعوا أن يروها حقيقة متجسدة في صورة بشرية. وقد عبر المسيح عن هذه

الحقيقة بقوله: " أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً. الحق الحق أقول لكم أنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مرسله. إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه " (يوحنا 13: 15 و 16). ولا يمكن أن يغيب هذا الدرس عن ذاكرة أحد من التلاميذ، وكما وجد يسوع فرحه الكامل في عمل مشيئة أبيه، هكذا يجد تابعوه فرحهم فيها. هذا هو الواجب الأوحد على الخادم نحو سيده. ولا يمكن أن يقبل شيء أقل من هذا من تلاميذ المسيح (لوقا 17: 6-10، قارن 8: 21، مرقس 3: 35، متى 12: 50).

8- المبدأ تحت الدراسة

وفضلاً عن ذلك، فمن حيث الأوضاع الاستراتيجية، كان هذا المبدأ الطريق الوحيد لصياغة حياتهم وتكييفها بواسطة كلمته. ولم يكن هناك وسيلة أخرى لتنمية أخلاقهم وسمو أهدافهم إلا هذه الوسيلة. انه لزام على الأب أن يعلم أولاده أن يطيعوه إذا أراد أن يتمثلوا به.

ومما هو جدير بالذكر أيضا، أن يسوع كان يصنع الرجال الذين يقودون الكنيسة إلى فتح العالم للإنجيل. ولا يتسنى لواحد أن يكون قائداً ما لم يتعلم أولا أن يتبع قائدا آخر. ولأجل ذلك، كان يدرب قادة المستقبل كل الطريق على لزوم الخضوع والاحترام لسلطته العليا. وفي جيش المسيح لا يمكن أن يكون تمرد أو نبذ للطاعة. ولا أحد مثل يسوع يعرف تماماً أن قوات الظلام الشيطانية الواقفة لهم بالمرصاد، هي في أقصى درجات اليقظة والتأهب والتحفز، وتستطيع أن تجعل من أي مجهود فاتر

في الكرازة، مجهوداً فاشلاً وعملاً ضائعاً. ولا يستطيع جنود المسيح أن يتفوقوا على قوات العدو ما لم يكونوا متحدين تماما مع قائدهم الذي يلم إلماماً كاملاً باستراتيجية النصر. تتطلب النصر طاعة مطلقة لإرادة السيد حتى ولو تتطلب الأمر تنازل مطلق عن إرادتهم الشخصية.

9- تطبيق المبدأ في أيامنا الحاضرة

يجب علينا أن نتعلم اليوم هذا الدرس مرة ثانية، فلا مجال للتلكؤ وإضاعة الوقت مع أوامر المسيح. نحن في حرب عنيفة نتائجها حياة وموت. وكل يوم يمضي علينا ونحن غير مكترثين بمسئوليتنا، هو يوم ضائع بالنسبة لقضية المسيح.

وإذا كنا قد تعلمنا أبسط المبادئ الأساسية للتلمذة، فيجب أن نعرف أننا مدعوون لنكون عبيداً لسيدنا وربنا طائعين لكلامه. وليس من واجبنا أن نستجوب منطقية وصاياه، ما علينا إلا أن ننفذها. وما لم يكن عندنا التكريس الكامل والطاعة السريعة لكل ما نعرف أنه يريد منا أن نعمله اليوم، مهما كان فهمنا ناقصاً وغير ناضج، فان تقدمنا وتعمقنا في حياته وإرساليته أمر مشكوك فيه. لا مكان إطلاقاً في الملكوت لكسول أو متهاون، لأن موقفاً من هذا القبيل لا يعطل فقط تقدمنا في النعمة والمعرفة، لكنه يتلف ويفسد أي نفع في معركة الكرازة للعالم كله.

ومن واجبنا أن نسأل: لماذا يقف عدد كبير من المسيحيين اليوم عاجزين عن النمو وغير مؤثرين في شهادتهم؟ أو لنضع السؤال بصورة

أوسع: لماذا وقفت الكنيسة المعاصرة عاجزة عن تأدية شهادتها للعالم؟ ألا يرجع السبب إلى عدم الاكتراث لأوامر المسيح وإلى مشاكلة العالم؟ وهذا أمر منتشر بين رجال الدين والعلمانيين على حد سواء. أين طاعة الصليب؟ يبدو لنا أن تعاليم المسيح عن التكريس وإنكار الذات قد حلت مكانها الفلسفة القائلة " أعمل ما يحسن في عينيك ".

والمأساة الكبرى هي أننا لا نحاول أن نبذل جهداً في إصلاح الموقف. وبالتأكيد إن حاجة الساعة ليست إلى اليأس ولكن للعمل. وقد جاء الوقت المناسب الذي فيه تفسر العضوية في الكنيسة على أنها تلمذة حقيقية للمسيح. ولكن هذا العمل وحده مع أهميته، لن يكون كافيا. إن التابعين يجب أن يكون لهم قادة. وهذا معناه أنه قبل أن نعمل مع أعضاء الكنيسة يجب أن نعمل مع قادة الكنيسة. وإذا بدت لنا هذه المهمة أكبر من طاقتنا، فيمكننا أن نبدأ بعدد قليل من الأشخاص المكرسين ونبث فيهم معنى الطاعة.

وعندما يقبل هذا المبدأ ويمارس محلياً نستطيع في هذه الحالة أن نتهيأ للخطوة التالية في استراتيجية السيد للكرازة الفعالة.

****

الفصل الرابع: البـــذل

" اقبلوا الروح القدس" (يوحنا 20: 22)

1- بذل لهم نفسه

أراد المسيح من أتباعه أن يطيعوه، ولكن في سبيل تعليمهم هذا الحق، كان متأكداً من أن تلاميذه سيدخلون إلى اختبار أعمق مع روحه القدوس. وفي قبولهم للروح القدس عرفوا محبة الله للعالم الهالك. لأجل هذا كانت أوامره للطاعة موضع القبول والتسليم بلا اعتراض أو مناقشة من جانبهم. أدرك التلاميذ أنهم ليسوا مجرد حافظين لقانون، لكنهم كانوا متجاوبين مع شخص يحبهم ومستعد أن يبذل نفسه لأجلهم.

كانت حياة يسوع حياة بذل. لقد أعطى تلاميذه ما تسلمه من الآب (يوحنا 15: 15 و 17: 4 و 8 و 14). أعطاهم سلامه الذي يسندهم في أوقات الضيق (يوحنا 16: 33 قارن متى 11: 28). أعطاهم فرحه الذي به استطاع أن يواصل عمله وسط الآلام والأحزان المحيطة به (يوحنا 15: 11، 17: 13). أعطاهم مفاتيح ملكوته الذي لا تستطيع قوات الجحيم أن تقوى عليه (متى 16: 19، قارن لوقا 12: 32). وفي الواقع، أعطاهم مجده الخاص به الذي كان له قبل إنشاء العالم، لكي يكونوا واحدا معه كما أنه واحد مع الآب (يوحنا 17: 22 و 24). وبالإجمال، أعطاهم فعلاً كل ما كان له. لم يمنع عنهم شيئاً، حتى حياته بذلها لهم. هكذا

المحبة، إنها تبذل نفسها دائماً. وعندما تجعل من نفسها مركز الدائرة لا تكون محبة. وبهذا المعنى ركز يسوع أمام تابعيه ما هو المقصود بالقول: " هكذا أحب الله العالم " (يوحنا 3: 16). كان المفهوم من هذا القول أن الله بذل كل ما لديه للذين أحبهم، حتى " ابنه الوحيد " أعطاه لهم. وبالنسبة للابن الوحيد الذي تجسدت فيه تلك المحبة، كان معنى هذا القول أنه تنازل عن حقه في الحياة وأعطى حياته لأجل العالم. وفي هذا النور فقط . عندما وضع الابن نفسه في مكان العالم . نستطيع أن نبدأ في فهم الصليب. وفي هذا نرى أن الصليب أمر حتمي لا مفر منه، لأن محبة الله غير المحدودة تستطيع فقط أن تعبر عن نفسها بطريقة غير محدودة. وهذا كان بالضبط، مثلما كان على الإنسان أن يموت بسبب خطيته، هكذا كان على الله . بسبب محبته . أن يبذل أبنه ليموت بدلاً عنا. " ليس حب أعظم من هذا أن يضع الإنسان حياته لأجل أحبائه" (يوحنا 15: 13).

2- دافع لا يُقاوم للكرازة

لهذا استغل المسيح كل فرصة لينقل شعلة تعلقه بالله. فكان يثير انطباع أتباعه بمحبة الله الشديدة للعالم الهالك. كل ما قاله أو فعله كان باعثه شعلة التزامه بالله الذي يحب الخطاة. كانت حياته ببساطة عبارة عن إعلان جاء في وقته. إنه إعلان عن قصد الله الأزلي ليخلص لنفسه شعباً خاصاً. هذا هو أعظم ما كان التلاميذ في شديد الحاجة إلى أن يتعلموه، لا نظرياً بل عملياً.

ورأوا هذا الالتزام العميق الملتهب أمامهم في طرق كثيرة كل يوم. مع أنه كان من الصعب عليهم تقبل الأمثلة العملية مثل غسل الأرجل (يوحنا 13: 1–20)، إلا أنهم فهموا المعنى المقصود من وراء ذلك. رأوا كيف كان المسيح ينكر نفسه مرات عديدة فيمتنع عن مسرات هذا العالم، ويصير خادماً بينهم. رأوا بعيونهم كيف كان يطرح وراء ظهره الأشياء التي كانوا يتهافتون عليها كالشهرة، والمقام الرفيع، وإشباع رغبات الجسد. كما رأوا أيضاً كيف أقبل يسوع عن طيب خاطر على الأشياء التي كانوا ينفرون عنها، مثل الفقر والمذلة والحزن والموت. كان يفعل كل ذلك لأجلهم وحباً لهم، وإذ كانوا يلاحظونه وهو يخدم المرضى، ويعزي الحزانى، ويكرز بالإنجيل للمساكين. كان واضحاً أمامهم أن السيد لم يستصغر خدمة، ولم يستعظم تضحية كانت تبذل لأجل مجد الله.

3- يقدس ذاته لهم

قدس المسيح ذاته لله باستمرار عن طريق خدمات المحبة للآخرين. كان هذا واضحاً في صلاته الكهنوتية عندما قال: "كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم. من أجلهم أقدس أنا ذاتي، ليكونوا هم مقدسين في الحق" (يوحنا 17: 18 و 19). ومن المهم أن نلاحظ أن إفراز المسيح نفسه لله كما تشير إليه الكلمة " أقدس ذاتي "، لم يكن شيئاً لازما للتطهير، إذ أنه كان على الدوام في أكمل درجات الطهارة. ولم يكن هذا الفرز بالنسبة له لازما للحصول على قوة للخدمة لأن القوة كانت دائما متوفرة له. إنما كان هذا التقديس، كما تفيد قرينة الكلام، في مجال التسليم

للمهمة الكبرى التي أرسل إلى العالم لأجلها. وفي تكريسه لغرض الكرازة أعطى حياته باستمرار لأجلهم.

لم يكن تقديسه إذن تحقيقاً لغاية شخصية، لكنه كان يهدف من ورائه خيراً لأجل تلاميذه لكي يكونوا "مقدسين في الحق"، بمعنى أنه كان في إعطاء ذاته لله قد أعطى ذاته للمحيطين له حتى يعرفوا في حياته العملية تسليما مماثلا للإرسالية التي جاء إلى العالم من أجلها. كانت خطته الكرازية بجملتها متعلقة بهذا التكريس. وبالتالي، كان المحور الذي تدور عليه أمانة التلاميذ الذين أعطوا حياتهم بروح المحبة للعالم المحيط بهم متعلقة أيضا بتكريس السيد.

4- مؤهلات الخدمة

كانت هذه المحبة هي المقياس التي يقيسون بها خدمتهم للآخرين باسم المسيح. كان عليهم أن يعطوا مجانا كما أخذوا مجانا (متى 10: 8). وكان عليهم أن يحبوا بعضهم بعضا كما أحبهم هو (يوحنا 13: 34 و 35). بهذا الشعار كانوا يعرفون بين الناس أنهم تلاميذ المسيح (يوحنا 15: 9 و 10)، وفي المحبة قد تجمعت كل وصاياه (يوحنا 5: 12 و 17، قارن متى 22: 37-40، مرقس 12: 30 و 31، لوقا 10: 27). فالمحبة محبة الجلجثة .كانت المقياس الأعلى الذي يقيسون به حياتهم. وكما رأوا بعيونهم لمدة ثلاث سنوات صورة المحبة المتجسدة، هكذا كان

عليهم أن يعطوا أنفسهم في تكريس خال من الأنانية للذين أحبهم الآب والذين مات المسيح لأجلهم (يوحنا 17: 23).

كانت هذه المحبة في حياة التلاميذ، هي الطريق الذي به يعرف العالم أن الإنجيل على حق. وكيف يتسنى للجماهير أن تقتنع بوسيلة أخرى غير هذه الوسيلة. إن المحبة هي الطريق الوحيد لاكتساب قلوب الناس. وهذا ميسور فقط بواسطة حضور المسيح في القلب. لهذا صلى المسيح قائلاً: " أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك، وأما أنا فقد عرفتك، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني وعرفتهم باسمك وسأعرفهم لكي يكون فيهم الحب الذي أحببتني وأكون أنا فيهم (يوحنا 17: 25 و 26).

5- عمل الروح القدس

لا ينبغي أن يخطر ببال أحد أن هذا الاختبار مع المسيح يمكن أن يتولد بالمهارة الشخصية أو الفطنة البشرية. أوضح المسيح لما لا يدع مجالا للشك أن الروح القدس فقط يجعلنا نشبه يسوع. يقول الكتاب: " الروح هو الذي يحيي أما الجسد فلا يفيد شيئاً" (يوحنا 6: 63). لهذا، فان من يريد أن يبدأ الحياة في المسيح لا بد أن يولد ولادة جديدة (يوحنا 3: 3-9). إن طبيعة الإنسان الفاسدة لا بد من تجديدها بواسطة الروح القدس، حتى تتحول إلى صورة الله المطلوبة. وعلى هذا القياس كان الروح القدس هو المسند والمغذي لحياة التلميذ الجديدة في مواصلته النمو في المعرفة والنعمة (يوحنا 4: 14 و 7: 38 و 39). وبالروح القدس ذاته يصير الإنسان طاهراً بالكلمة ومفرزاً لله لأجل الخدمة المقدسة (يوحنا

15: 3 و 17: 17، قارن افسس 5: 26). إن اختبار المسيح الحي بطريقة شخصية، كان من البداية إلى النهاية عمل الروح القدس.

إن الروح القدس فقط هو المقوي للإنسان على حمل رسالة الفداء والكرازة. وقد أعلن يسوع هذا الحق مرات عديدة إن ما عمله كان بالتعاون الكامل مع روح الله. وبفضل مسحة الروح، كان يكرز بالإنجيل للمساكين، ويشفي المنكسري القلوب، وينادي للمأسورين بالعتق، ويفتح عيون العمي، ويخرج الشياطين، ويرسل المنسحقين في الحرية (لوقا 4: 18، متى 12: 28). لقد كان يسوع هو الله الذي ظهر بالجسد، أما الروح القدس كان هو الله العامل فينا. إن الروح القدس هو وسيلة الله لقيادة الناس إلى اختبار الخلاص عن طريق المبشرين.

وهكذا أعلن يسوع لتلاميذه أن الروح القدس هو الذي يهيأ الطريق لخدمتهم، ويعطيهم كلاماً عند افتتاح أفواههم (متى 10: 19 و 20، مرقس 13: 11، لوقا 12: 12). هو يبكت العالم " على خطية، وعلى بر، وعلى دينونة " (يوحنا 16: 9). يعطي الروح القدس الاستنارة الروحية فيعرف الناس الرب يسوع (متى 22: 43، قارن مرقس 12: 36، يوحنا 16: 14). وبقوة الروح، وعد التلاميذ أن تكون لهم نفس القدرة التي كانت للرب يسوع، فيعملون أعماله (يوحنا 14: 12). وفي نور هذا الكلام نستطيع أن نقول أن الكرازة لم تكن على الإطلاق إنجازاً بشرياً، لكنها عمل الهي من البداية. وستبقى كذلك بقدرة الله إلى أن يتحقق غرض الله في خلاص الناس. إن الكرازة ما هي إلا عمل الروح القدس جملة وتفصيلاً.

وكل ما كان مطلوباً من التلاميذ هو أن يسمحوا للروح القدس أن يأخذ مكانه اللائق في قلوبهم، وأن تكون له السيطرة الكاملة على حياتهم.

6- المعزي الآخر

كان التلاميذ في حاجة إلى معرفة عميقة للعلاقة الوثيقة بين الروح القدس وبين ربنا يسوع. عرف يسوع بالطبع حاجتهم إلى هذه المعرفة. ولأجل ذلك تكلم الرب كثيراً عن العلاقة المجيدة. كان يكثر من الكلام عن هذه الصلة كلما كانت أيامه على الأرض تقترب من نهايتها. وفي كل أيام خدمته كان دائماً معهم. كان معزيهم، ومعلمهم، ومرشدهم. وفي شركتهم معه اختبر التلاميذ الشجاعة والقوة. وفي الوجود معه شعروا أن كل شيء مستطاع وميسور لهم. ولكن ماذا سيفعلون وهوذا يسوع يمضي إلى السماء؟ وتحت هذه الظروف، احتاج يسوع أن يوضح لهم كيف يمكنهم أن يواصلوا العمل بعد ارتفاعه إلى السماء. وفي ذلك الوقت قال لهم يسوع عن الروح القدس انه " المعزي الآخر ". إنه المحامي الذي يقف إلى جانبهم، ويؤيدهم، ويؤازرهم بقوته. وهو الشخص الذي يأخذ بالضبط نفس المكان الذي كان يشغله يسوع، إلا أن الروح غير مرئي (يوحنا 14: 16). وكما قام يسوع على خدمتهم طيلة ثلاث سنوات، سيتولى الروح القدس الآن إرشادهم إلى كل الحق (يوحنا 16: 13). سيعينهم على الصلاة (يوحنا 14: 12 و 13، 16: 23 و 24). سيخبرهم بأمور آتية (يوحنا 16: 13). سيعرفهم بكل ما يحتاجون إلى معرفته (يوحنا 14: 26). وبالإجمال، سيمجد الروح الله الابن. سيأخذ كل ما للمسيح ويجعله حقيقة لتابعيه (يوحنا 16: 14 و 15). إن العالم

لا يقدر أن يقبل هذا الحق لأنه لم يعرف يسوع، ولكن التلاميذ عرفوه لأنه كان معهم، وسيبقى معهم إلى الأبد بالروح القدس (يوحنا 14: 17).

وما كان يسوع يتحدث عنه لم يكن نظريات أو عقائد أو ترتيبات مؤقتة. لكن يسوع كان ينطق بوعد حقيقي يعوضهم عما سيلحق بهم من خسائر. إن المعزي الآخر سيكون بالنسبة لهم مثل المسيح تماماً، وسيملأ قلوبهم بحضور السيد نفسه. وفي الواقع، ستكون الامتيازات التي سيتمتع بها التلاميذ في هذه الصلة الجديدة بالروح القدس، أقوى وأعظم مما عرفوه خلال المدة التي قضاها يسوع معهم. وبعد كل هذا الذي ذكرناه، فان يسوع بحكم تجسده، كان محصوراً في جسد واحد في مكان واحد، لكنه في الروح بدون كل هذه الحدود. والآن يستطيع يسوع أن يكون معهم دائماً، فلا يتركهم ولا يهملهم ويستطيع أن يحقق لهم هذا الوعد حرفياً (متى 28: 20، قارن يوحنا 14: 16). وإذ ننظر إلى الموضوع من هذه الزاوية لا يسعنا إلا أن نقول أنه كان خيراً ليسوع، بعد أن أنجز عمله، أن يعود إلى الآب ويرسل هذا المعزي المبارك ليأتي إلى تلاميذه ويأخذ مكانه فيهم (يوحنا 16: 7).

7- سر الحياة المنتصرة

من السهل علينا إذن أن نعرف السبب الذي لأجله طلب من تلاميذه أن يمكثوا في أورشليم، إلى أن يتحقق لهم هذا الوعد العظيم (لوقا 24: 49، أعمال 1: 4 و 5، 8، 2: 33). كيف كان يمكنهم أن يتمموا

المهمة التي وضعها الرب على عاتقهم بفرح عظيم وسلام قلبي عميق، بغير هذه الوسيلة؟ لقد كانوا في حاجة إلى اختبار المسيح اختباراً حقيقياً يملأ حياتهم ببهجة حضوره. كانوا في حاجة أن تصير الكرازة التزاماً ملتهباً في داخلهم. يطهر رغباتهم ويهدي أفكارهم. لا شيء يملأ هذه الحاجة إلا المعمودية الشخصية من الروح القدس. إن هذا العمل الذي يفوق طاقة البشر والذي دعوا إليه، كان يتطلب معونة إلهية. كان هذا العمل يتطلب مسحة القوة من الأعالي. وهذا معناه أن التلاميذ باعترافهم بتأصل الكبرياء وتغلغل العداوة في قلوبهم، قد دخلوا بالإيمان إلى اختبار جديد ومطهر لحياتهم. وبالإيمان، سلموا حياتهم تسليما كاملا للمسيح، وذلك بفضل امتلائهم من الروح القدس. والواقع، وجود عيوب في هؤلاء الرجال كغيرهم من الناس، لم يكن عائقا دون امتلائهم من الروح. إن هذه الحقيقة المجيدة تذكرنا بالقوة العجيبة للروح القدس في إنجاز مقاصده في الناس الذين يخضعون له خضوعاً كاملاً. وبعد كل شيء لا يفوتنا أن نقول أن الروح القدس هو المصدر الأوحد للقوة. تكمن كل الأهمية في معرفة هوية الروح القدس وقدرته وليس في معرفة قدرتنا وقوتنا.

8- الحق المخفي عن غير المؤمنين

وكيفما كان الأمر، فمن الخير لنا أن نذكر مرة أخرى أن أولئك فقط الذين تبعوا يسوع كل الطريق قد حصلوا على مجد هذا الاختبار. أما الذين تبعوا يسوع من على بعد مثل جماهير الشعب، أو الذين رفضوا

بعناد أن يسلكوا في نور كلمته كالفريسيين، لم يسمعوا . ولو مجرد سماع . بعمل المعزي المبارك. وكما لاحظنا سابقاً أن يسوع لم يطرح درره قدام الذين لم يريدوها. وهذه خاصية بارزة من خواص تعليمه كل أيام حياته. إن يسوع قصد أن يحتفظ لتلاميذه المختارين القلائل . وبالأخص الاثني عشر تلميذاً . بأعمق وأهم تعاليمه (لوقا 10: 22، متى 11: 27، قارن 16: 17). وفي الواقع، إن أعينهم وآذانهم كانت مطوبة لأن أنبياء وملوكاً كثيرون اشتهوا أن يروا الأشياء التي رأوها، وأن يسمعوا الأشياء التي سمعوها لكنهم لم يقدروا (متى 13: 16 و 17، لوقا 10: 23 و 24، قارن متى 13: 10و 11، مرقس 4: 10و 11، لوقا 8: 9 و 10). وقد يبدو هذا الأسلوب غريبا من شخص المسيح إلى أن نتأكد مرة أخرى أن يسوع تعمد أن يستثمر كل ما لديه في أولئك الرجال القلائل لكي يستعدوا الاستعداد المناسب للقيام بعمله.

9- تطبيق المبدأ اليوم

كل الأمر في موضوع الكرازة يتجه نحو شخص المسيح. إن طريقه هي حياته نفسها وهكذا يجب أن يكون مع تابعيه. فيجب أن تكون حياته فينا بالروح القدس إذا أردنا أن نعمل ونطبق تعليمه تطبيقاً عملياً في حياتنا. وأي عمل كرازي بدون ذلك هو عمل بلا حياة وبلا معنى. عندما يعظم روح المسيح في حياتنا ابن الله نستطيع أن نجذب الناس إلى الآب.

وبالطبع، لا نستطيع أن نعطي شيئاً لسنا نمتلكه، لأن فاقد الشيء لا يعطيه. إن ذات المقدرة التي بها نبذل حياتنا في المسيح هي أعظم برهان

على امتلاكنا لهذه الحياة. كما أننا من الجانب الآخر، لا نستطيع أن نمتنع عن بذل حياتنا التي نملكها بروح المسيح، ونظل في نفس الوقت محتفظين بها. إن روح الله يصر دائما على أن نجعل المسيح معروفاً للجميع. وهذا هو التناقض العظيم في الحياة. فنحن يجب أن نموت عن أنفسنا لكي نحيا في المسيح، وفي هذا الإنكار لذواتنا يجب أن نبذل نفوسنا في الخدمة والولاء لسيدنا. هذه الطريقة كانت طريقة المسيح في الكرازة. وقد شاهدها أولاً أتباعه القلائل دون غيرهم. ولكن بواسطتهم صارت هذه الطريقة قوة الله في الانتصار على العالم.

ولكننا لا يمكننا أن نقف عند هذه النقطة. فمن اللازم أن يرى الناس فينا دليلاً واضحاً على أننا نحيا حياة المسيح. وبهذه الكيفية يلزمنا أن نفهم جانباً آخر من جوانب يسوع مع تلاميذه.

****

الفصل الخامس: المثـــال الحي

"أعطيتكم مثالا" (يوحنا 13: 15)

1- أراهم كيف يحبون

قصد يسوع أن يتعلم تلاميذه طرقه في الحياة ومع الإنسان. عرف أنه ليس كافياً أن يأتوا بالناس فقط إلى شركة روحية معه. كان تلاميذه يحتاجون أن يعرفوا كيف يمكن الاحتفاظ باختبارهم الشخصي في المسيح، ومشاركة الآخرين فيه، إذا أريد لهذا الاختبار أن يمتد ويدوم. ومن البديهي أن الحياة تسبق العمل. لكننا، من وجهة نظر عملية، نحن نحيا بما نعمله. فعلى الإنسان أن يستنشق الهواء، ويأكل الطعام، ويمارس الرياضة، ويمضي إلى عمله إذا أراد أن ينمو ويتقوى. ومتى أهملت وظائف الجسم، فإن الحياة تتوقف. هذا هو السبب الذي لأجله يبذل يسوع جهده لكي يفهم تابعوه أسرار تأثيره الروحي، وإن هذه الأسرار يجب أن توضع موضع الاعتبار كمنهاج أساسي لخطة الكرازة. إن هذا الأمر في نظر يسوع بالغ الأهمية.

2- ممارسة الصلاة

خذ، على سبيل المثال، حياة الصلاة عند يسوع. بالتأكيد لم يكن الأمر مصادفة أن يسمح يسوع لتلاميذه أن يروه وهو يتحدث مع الآب.

لقد استطاعوا أن يروا القوة التي أعطتها الصلاة لحياته. ومع أنهم لم يستطيعوا أن يفهموا تماماً كل ما يحيط بالصلاة في حياة المسيح، لكنهم تيقنوا أنها لا بد أن تكون جزءا من أسرار حياته. ويجب أن نضع في الاعتبار أن يسوع لم يجبرهم على معرفة هذا الدرس، لكنه ظل يصلي أمامهم حتى اشتاقوا أخيراً أن يسألوه ليعلمهم كيف يصلون.

انتهز يسوع فرصته فتقدم ليعطيهم الدرس الذي كانت قلوبهم مستعدة لقبوله، وأوضح لهم بعض المبادئ الأساسية للصلاة. وقبل أن يختتم حديثه معهم أراهم المقصود من وضعه هذه الصلاة النموذجية (لوقا 11: 1-4، متى 6: 9-13).

وقد يخطر ببال الواحد منا أن هذه الممارسة هي دون مستوى هؤلاء التلاميذ . والمقصود ممارسة وضع كلمات في أفواههم لكي يتعلموا الصلاة ـ لكن يسوع لم يرد أن يأخذ أمراً مهماً كالصلاة كقضية مسلم بها. وفي الواقع، إن وضع كلمات في أفواه التلاميذ عبارة عن طريقة أساسية في التعليم. هي طريقة لازمة ولا غنى عنها لمن أراد أن يلتزم بالصلاة. لكن كيفما كان وقع هذا الدرس الأول على التلاميذ، فإن يسوع صمم على أن يتعلموا هذا الدرس أولا. وفيما بعد كان يؤكد مرة تلو الأخرى أهمية حياة الصلاة حينما كان يتحدث مع تلاميذه. كان يزداد توسعا في الحديث عن معاني الصلاة وتطبيقها العملي، عندما كان يرى فهمهم واستيعابهم للحقائق الروحية الأكثر عمقاً. لقد كان هذا التعليم عن الصلاة جزءا مهما في تدريبهم. فهم سيقومون بتعليم الصلاة للآخرين. ومن المؤكد أنه إن

لم يدركوا معنى الصلاة، ويتعلموا كيف يمارسونها باستمرار، فلن يجنوا شيئاً كثيراً من حياتهم.

3- استخدام الكتاب المقدس

عرض يسوع جانبا آخر من حياته أمام التلاميذ. فلقد عبر بوضوح عن أهمية الأسفار المقدسة ووجوب استخدامها. كان هذا واضحاً سواء من جهة تعبده الشخصي أو في كسب الآخرين إلى الطريق (أي المسيحية). وكثيراً ما كان يبذل مجهوداً لكي يوضح لتابعيه معنى عبارة معينة في الكتاب المقدس. لم يكف أبداً عن استعمال الكتاب المقدس معهم. ويوجد ما لا يقل عن ستة وستين شاهداً من العهد القديم في أحاديثه مع التلاميذ كما دونتها الأناجيل الأربعة. وهذا فضلاً عن الإشارات الأخرى التي لا تقل عن تسعين إشارة إلى العهد القديم، في كلامه مع الآخرين.

ساعد كل هذا التلاميذ لكي يعرفوا أهمية معرفة واستخدام الكتاب المقدس عليهم في حياتهم الشخصية. كانت مبادئ الكتاب تمارس عملياً أمامهم مراراً وتكراراً حتى لا تفوتهم على الأقل القواعد الأساسية في تفسير الكتاب وتطبيقه على حياتهم. وفضلاً عن ذلك، فان مقدرة يسوع على استذكار أجزاء من العهد القديم، لا بد أن يكون قد أثر في التلاميذ، وأراهم وجوب معرفة واستذكار الكثير من آيات الكتاب التي من المفروض أن تكون أساس تعاليمهم وحججهم.

في كل شيء كان الأمر في غاية الوضوح والجلاء. إن الكلمة المكتوبة في الأسفار المقدسة تتفق تماماً مع الكلمة التي تخرج من فم المسيح، وليس بينهما تناقض بل تكمل إحداهما الأخرى. كان تعليم يسوع موضوع قبول واهتمام التلاميذ. ومن هنا، كانت آيات الكتاب مع منطوقات فمه أساساً راسخاً لإيمانهم بالمسيح. زد على ذلك، كان واضحاً أنه لكي يستمروا في الشركة معه بروحه القدوس بعد صعوده، كان عليهم أن يظلوا ثابتين في كلمته (يوحنا 15: 7).

4- الاهتمام الكبير في ربح النفوس

بهذه الكيفية عن الأمثلة العملية، كانت جوانب حياة يسوع الشخصية هي التركة التي تركها لتلاميذه. ولكن من أكثر الأمور أهمية . من وجهة نظر مقصده الأسمى . أنه كان يعلمهم في كل حين كيف يكونون ناجحين في ربح النفوس.

ومن ناحية عملية، كان كل شيء يقوله يسوع أو يفعله مناسبا لعملهم في الكرازة سواء إذا وضح لهم حقا روحياً، أو إذا أرشدهم إلى كيفية التعامل مع الناس. لم يكن في حاجة إلى خلق أمثلة تعليمية نظرية. فلقد استغل مواقف الحياة العملية لتكون مدرسة لهم. كان تعليمه واقعيا. في الواقع، كان التلاميذ في معظم الأوقات، يلتهمون تعليمه من غير أن يشعروا أنهم يتدربون لربح الناس لله. فالتلاميذ يتدربون على ربح النفوس بنفس الكيفية التي يربح بها المسيح النفوس لله. فالتلاميذ يتدربون على ربح النفوس بنفس الكيفية التي يربح بها المسيح النفوس لله.

5- التعليم بطريقة طبيعية بلا تكلف

هذه النقطة التي أشير إليها مرات كثيرة تستحق منا رعاية خاصة. كان يسوع سيداً في تعليمه بكل معنى الكلمة بحيث لم يسمح لوسيلته في التعليم أن تخفي الدرس الذي قصده. إنه جعل الناس يلتفتون إلى الحق لا إلى كيفية عرضه، كانت طريقته أن يخفي أن له أسلوبا معينا. لقد كان هو نفسه الأسلوب.

ويصعب علينا تصور هذا في عصرنا الحاضر الذي تعدد فيه التفنن المتعلق بمنهجية وتقنية التعليم. ففي بعض نواحي المعرفة يكاد يكون من الصعب علينا أن نخطو إلى الأمام خطوة واحدة، من غير أن يكون في متناول أيدينا دليل مشروح شرحاً وافياً يحتوي على كثير من الخرائط الملونة، لكي تعيننا على الفهم والاستيعاب. وأقل ما نتوقعه، أن يكون للتلاميذ فصل دراسي في كيفية ربح النفوس. ومع ذلك . وقد يبدو الأمر غريباً علينا . إن التلاميذ لم يكن عندهم شيء من هذا القبيل. لم يكن عندهم ما نحسبه لازم وضروري للتبشير.

كل ما كان لدى التلاميذ هو المعلم الذي مارس معهم ما كان يتوقع أن يتعلموه. لقد تجسدت الكرازة أمام عيونهم في روحها ومنهجيتها. وفيما هم يدرسون سيدهم تعلموا كل شيء يتعلق بالكرازة. لقد قادهم إلى لمس الحاجة المتأصلة في كل طبقات الناس، ومعرفة أفضل الطرق للوصول إليهم.

لقد لاحظوا كيف جذب المسيح الناس إليه. كيف أكتسب ثقتهم وقوى إيمانهم. كيف فتح لهم طريق الخلاص ودعاهم إلى اتخاذ قرار تسليم حياتهم لله وإلى قرار إتباع الله. في كل المواقف، وبين مختلف أنواع الناس، من غني أو فقير، سليم أو مريض، عدو أو صديق، كانت عيون التلاميذ شاخصة إلى السيد وهو يربح النفوس. لم يكن البرنامج ملخصاً على سبورة أمامهم، ولا مكتوباً في كتاب مقرر للدراسة لكي يسيروا بموجب إرشاداته. كانت طريقة يسوع في الكرازة طريقة حقيقية وطبيعية بلا تصنع أو تكلف.

6- كانت الدراسة دائماً مستمرة

يصدق هذا الكلام سواء في اتصاله بالجماهير، أو في معاملاته مع الأفراد. كان التلاميذ دائماً هناك يراقبون كلامه وأعماله. وإذا لم يكن كلامه واضحاً في بعض المناسبات، كان كل ما عليهم سؤال السيد إيضاح ما قاله. فمثلاً، بعد أن ضرب المسيح مثل الزارع أمام جموع كثيرة من الناس (مرقس 4: 1، قارن متى 13: 1-9، لوقا 8: 4-8) سأله التلاميذ على انفراد عن معنى هذا المثل (لوقا 8: 9، قارن مرقس 4: 10، متى 13: 10). وبناء على سؤالهم أخذ يسوع يشرح لهم بالتفصيل معنى التشبيهات التي أوردها في المثل المشار إليه. في الواقع، قضى المسيح من الوقت مع تلاميذه ثلاثة أمثال مما أخذه من الوقت وهو يسرد المثل (متى 13: 10-23، مرقس 4: 10-25، لوقا 8: 9-18).

وعندما كان التلاميذ يحتارون ويستغربون من أقوال المسيح، كان يسوع يبادر فيوضح ما أُغلق فهمه عليهم. خذ قصة الشاب الغني فهي حادث مثالي لما نحن بصدده الآن. بعد أن واجه يسوع ذلك الشاب بخشونة وبعد أن مضى الشاب حزيناً لأنه أحب أمواله أكثر من حبه لملكوت الله، اتجه يسوع إلى تلاميذه وقال لهم: "أنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السموات" (متى 19: 23 قارن مرقس 10: 23، لوقا 18: 24). "فبهت التلاميذ إلى الغاية" (مرقس 10: 24). مما جعل المسيح يسهب في حديثه مع التلاميذ فيذكر لهم السبب الذي من أجله جاوب هذا الشاب صاحب الأخلاق الحسنة. في نفس الوقت انتهز يسوع الفرصة، فطبق هذا المبدأ مبدأ التخلي عن الكل لأجل الله على التلاميذ (مرقس 10: 24-31، متى 19: 24-20: 16، لوقا 18: 25-30).

7- **المبدأ تحت الدراسة**

كانت طريقة يسوع هنا شيئاً أكثر من عظة متواصلة. كانت أشبه بدرس عملي. كان هذا سر تأثير يسوع في التعليم. فلم يطلب من أحد أن يفعل شيئاً أو أن يتصف بأمر لم يمارسه هو عملياً في حياته الخاصة. وبهذه الطريقة لم يكن فقط يؤيد أن طريقته ممكنة بل أثبت أنها تليق بإرساليته في الحياة. وكان في إمكانه أن يفعل ذلك، لأنه كان على صلة مستمرة بتلاميذه، فلم تكن لقاءات التدريب لها نهاية. كل شيء قاله وفعله كان درساً شخصياً في واقع الحياة. وبما أن التلاميذ كانوا متواجدين لاحظوا تعاليم يسوع. كانت كل ساعات يقظتهم دروساً مستمرة ومتواصلة.

كيف يمكن للتلاميذ أن يتعلموا طريقه بغير هذا الأسلوب؟ إنه من الخير أن نخبر الناس ماذا نقصد من كلامنا، ولكن الأفضل جدا أن نريهم كيف نعمل بما نقول. إن الناس يتطلعون إلى المثال الحي العملي، وليس إلى التفسيرات والتوضيحات النظرية.

8- تطبيق المبدأ

لنقف الآن أمام الخلاصة في كل ما تعلمناه. نحن الذين نبحث عن أشخاص ندربهم، يجب أن نكون قدوة صالحة لكي يتبعونا في كل شيء، كما نتبع نحن المسيح (1 كورنثوس 11: 1). لقد صرنا منظراً ومعرضاً للناس (فيلبي 3: 17، 1 تسالونيكي 2: 7 و 8 ، 2 تيموثاوس 1: 13). هم يعملون نفس الأشياء التي يسمعونها ويرونها فينا (فيلبي 4: 9). وبمرور الوقت نستطيع، عن طريق هذا النوع من القيادة، أن نجعل طريق حياتنا المبني على إتباع المسيح منهاجا للذين على اتصال دائم بنا.

يجب أن يستقر هذا الحق في أعماق حياتنا. فنحن لا نستطيع أن نتهرب من مسئوليتنا الشخصية في إظهار حياتنا للذين ندربهم. إظهار حياتنا بهذه الصورة لا بد أن يشمل النتائج العملية لوجود الروح القدس في قلوبنا. هذه هي طريقة السيد، ولا شيء آخر بخلاف هذه الطريقة ينفع لتدريب الآخرين على القيام بعمل المسيح.

إن إظهار حياتنا أمام من ندربهم يجعلنا عرضة للألم والمباحثة. فنحن لا نتسم بالكمال مثل ربنا يسوع. يظهر انفتاح حياتنا أمام الآخرين

تقصيرنا، لكنه ربما يبين أيضا استعدادنا للاعتراف والتوبة عندما ندرك أخطائنا. لندع تلاميذنا يسمعوا اعتذارنا للذين أسأنا إليهم. فليس من المفروض أن يعيق ضعفنا التلمذة، خصوصا إذا ظهر من خلاله التزاما صادقا في إتباع المسيح.

كما تعلم، إن مجرد المعرفة ليس كافياً. لابد أن يأتي وقت للعمل. وإن عدم اكتراثنا بهذا الأمر يستطيع أن يبطل تأثير كل ما حصلنا عليه خلال فترة تعلمنا. في الواقع، إن المعرفة إذا لم تطبق على الحياة تصبح حجر عثرة. لا أحد يدرك هذه الحقيقة أكثر من السيد نفسه. فقد كان يدرب الرجال على العمل. وعندما كانوا يعرفون الأمور، كان يحرص على وجوب تطبيق هذه المعرفة على الحياة العملية.

إن تطبيق هذا المبدأ هو من الوضوح بحيث يجب أن يعتبر جزءاً آخر من استراتيجية المسيح في ربح النفوس، بواسطة أشخاص مدربين أتقياء، وعندهم اليقظة الروحية الكافية.

****

الفصل السادس: إعطاء المسئولية

" هلم ورائي فأجعلكما صيادي الناس (متى 4: 19)

1- عين المسيح لهم عملاً

كان يسوع يعمل في خدمته إلى أن جاء الوقت الذي فيه يتسلم تلاميذه عمله، ويخرجون إلى العالم بإنجيل الفداء. هذه الخطة كانت تزداد ووضوحاً أثناء اتباع السيد. الصبر الذي أظهره يسوع في توضيح مسئولية الكرازة للتلاميذ، يعكس مدى اعتباره لقدرتهم على الفهم والتعلم. فلم يكن مستعجلاً أو سابقاً للأوان في إلحاحه عليهم بوجوب النهوض بالعمل. إن الدعوة الأولى إلى التلاميذ ليتبعوه لم تقل شيئاً عن خروجهم إلى العالم وتبشيرهم بالإنجيل، مع أن هذه الخطة كانت منذ البداية. كانت طريقته أن يحصل التلاميذ على اختبار حيوي مع الله، وأن يبين لهم كيفية العمل قبل أن يضع على عاتقهم مسؤولية العمل.

ومن الجانب الآخر، نرى أن يسوع لم يوهن عزائمهم في رغبتهم أن يشهدوا عن إيمانهم. في الواقع، ابتهج عندما أرادوا أن يخبروا الآخرين بما رأوه ووجدوه. فاندراوس أتى ببطرس، وفيلبس وجد نثنائيل، ومتى دعا أصدقاءه إلى وليمة في بيته، وقابل يسوع هذه الميول الجديدة بفرح وابتهاج. أيضا، يجدر بنا أن نلاحظ أنه في مناسبات عديدة طلب يسوع

من الذين أسدى إليهم خدمة أن يذيعوها بين الناس. لكن لم يحدث في هذه الأمثلة المبكرة أن جاء الأمر بصريح العبارة في تحقيق الغرض الأسمى من حياتهم، وهو الشهادة للناس.

لقد استخدم يسوع تلاميذه في طرق أخرى لمساعدته في عمله، مثل الحصول على طعام لأجل الجماهير التي تبعته والعناية بإقامتهم. طلب منهم أيضاً أن يعمدوا بعض الأشخاص الذين استيقظت ضمائرهم بسبب رسالته (يوحنا 4: 2). فيما عدا ذلك، فأنه أمر مذهل أن نلاحظ الأناجيل التي تبين أن هؤلاء التلاميذ الأوائل لم يعملوا شيئاً يستحق الذكر إلا مراقبة يسوع وهو يعمل. استمر الحال على هذا المنوال لمدة سنة أو أكثر. لقد حفظ الرؤيا أمامهم بواسطة نشاطه في العمل. أما في دعوته الثانية للصيادين الأربعة فقد ذكرهم بأن معنى إتباعه هو أن يكونوا صيادي الناس (مرقس 1: 17، متى 4: 19، لوقا 5: 10). لكن يبدو أنهم لم يعملوا شيئاً في هذا المجال. وحتى بعد أن مضت شهور على تنصيبهم رسمياً لهذه الخدمة (مرقس 3: 14–19، لوقا 6: 13–16) فانهم لم يظهروا أي دليل على قيامهم بعمل الكرازة، ولعل هذه الملاحظة تعطينا مزيداً من الصبر نحو حديثي الإيمان الذين يتبعوننا.

ولكن عندما بدأ يسوع رحلته التبشيرية الثالثة في الجليل (مرقس 6: 6، متى 9: 35) تحقق بلا شك أن الوقت قد جاء لينهض تلاميذه بالعمل معه بصورة إيجابية مباشرة. على الأقل قد شاهدوا ما فيه الكفاية ليحركهم للبدء في العمل. واحتاجوا أن يضعوا ما رأوا يسوع يعمله في حيز الممارسة العملية. لذلك يقول الإنجيل، "دعا الاثني عشر وابتدأ يرسلهم"

(مرقس 6: 7، قارن متى 10: 5، لوقا 9: 1 و 2) ومثل النسر الذي يعلم صغاره الطيران فيدفعها خارج العش، هكذا دفع يسوع تلاميذه إلى العالم لكي يدربوا أجنحتهم ويمارسوا عملهم.

2- تلخيص التعليمات

وقبل السماح لهم بالذهاب أعطاهم بعض التوجيهات المختصرة الخاصة بإرساليتهم. وما قاله لهم في هذه المناسبة له أهمية كبيرة في هذه الدراسة لأنه لخص لهم تصريحا ما سبق أن قال لهم تلميحاً. وقد عاد فأكد لهم غرضه لحياتهم، إذ كان عليهم أن يذهبوا " ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضى" (لوقا 9: 1 و2 ، قارن متى 10: 1، مرقس 6: 7). لم يكن في هذه الوصية شيء جديد، لكنها أعطتهم نورا أكثر وضوحاً بشأن مهمتهم التي كلفوا بها. وقد أكدت لهم هذه التوجيهات الجديدة، بضرورة الإسراع في مهمتهم، إذ كان عليهم أن يعلنوا " أنه قد أقترب ملكوت الله " (متى 10: 7). كذلك ذكرت لهم التعليمات بصورة كاملة مدى سلطانهم إذ لم يكن أمامهم فقط أن يشفوا المرضى ولكن " أن يطهروا البرص ويخرجوا الشياطين ويقيموا الموتى" (متى 10: 8).

لكن يسوع لم يتركهم عند هذا الحد. أنه أخذ يقول لهم عمن يجب أن يذهبوا إليه أولا : " إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة " (متى 10: 5 و6). كأن المسيح يريد أن يقول لهم أن يذهبوا أولا إلى أكثر الناس قبولا لرسالتهم. هذا هو الطريق الذي بدأ المسيح به خدمته، مع انه بمرور

الوقت لم يربط نفسه به. وحيث أن الأهل والعشيرة الواحدة متشابهون مع التلاميذ ثقافيا ودينيا، فقد كان من الطبيعي أن يبدأوا خدمتهم معهم. ومن المثير للانتباه أنه عند إرسال السبعين لم يكرر لهم هذا القول، ولعل في هذا إشارة ضمنية أنه قد حان الوقت للذهاب إلى ما وراء الروابط الطبيعية في إعلان دعوة المسيح.

وبشأن إعالتهم، فقد كان عليهم أن يضعوا ثقتهم في الله في تدبير حاجتهم. قال لهم المسيح أن يقدموا خدماتهم مجانا مذكرا إياهم بأنهم أخذوا من سيدهم كل شيء مجاناً (متى 10: 8). وفي نهاية هذه التوجيهات نصحهم المسيح بأن لا يثقلوا على أنفسهم بأمتعة كثيرة ليسوا في حاجة إليها (متى 10: 9 و 10، مرقس 6: 8و 9، لوقا 9: 3). وبما أنهم كانوا أمناء لله، فان الله سيتكفل بتدبير حاجاتهم " لأن الفاعل مستحق طعامه " (متى 10: 10).

3- لنتبع طريقه

كانت خطة المسيح لتلاميذه محددة بشأن البحث عن صديق في كل مدينة يذهبون إليها، وهناك يقيمون في منزله كل مدة خدمتهم التبشيرية في تلك المنطقة، " وأية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق وأقيموا هناك حتى تخرجوا " (متى 10: 11، قارن مرقس 6: 10، لوقا 9: 4). كانت التوجيهات للتلاميذ أن يركزوا وقتهم على الأفراد المأمول فيهم أن يواصلوا العمل بعد تركهم المكان. كان عليهم أن يضعوا هذا الأمر في المكان الأول من حيث الأهمية. وإذا لم يقدروا أن يجدوا أحداً

يستقبلهم في بيته، كان عليهم بحسب التعليمات المعطاة لهم أن ينفضوا غبار أرجلهم شهادة عليهم. إنه سيكون لأرض سدوم وعمورة في يوم الدينونة حالة أكثر احتمالا من تلك المدينة (متى 10: 14-15، قارن لوقا 9: 5، مرقس 6: 11). ولا يجب أن نقلل من مبدأ إنشاء ركيزة في كل مكان جديد للعمل باختيار شخص موثوق به، يكون مسئولاً عن متابعة العمل. لقد اتبع يسوع هذه الطريقة مع تلاميذه وانتظر منهم أن يحذوا حذوه. وكانت خطته بأكملها في الكرازة تعتمد على هذا المبدأ، وكل الأماكن التي رفضت فرصة التلاميذ في تطبيق هذا المبدأ جلبت على نفسها دينونة الظلام الدامس المخيف.

4- لنتوقع الشدائد

الواقع أن رفض بعض الناس خدمة التلاميذ كان من الأسباب التي حركت المسيح أن يحذر التلاميذ من المعاملة التي يتوقعون أن يلقوها " ولكن احذروا من الناس لأنهم يسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم وتساقون أمام أمم وملوك من أجلي شهادة لهم وللأمم " (متى 10: 17 و 18). ولم تكن هذه المعاملة إلا شيئاً طبيعياً، لأنه " ليس التلميذ أفضل من معلمه ولا العبد أفضل من سيده " (متى 10: 24). وقد قال الحكام عن يسوع " به بعلزبول "، ومن الطبيعي أن أهل بيته لا يتوقعون معاملة أقل سوءا من هذه (متى 10: 25). هذا معناه بعبارة أخرى: أن طريقه مضاد ومعارض للعرف الجاري والمقبول من الحكمة العالمية. لأجل ذلك فانهم سيكونون مبغضين من الجميع (متى 10: 22 و23). وبالرغم من هذا كله فان المسيح شجعهم قائلاً: " لا تخافوا " فان

الله لن يتخلى عنهم. ومع أن شهادتهم كانت تعرض حياتهم للخطر، لكن الروح القدس قواهم على مواجهة المواقف الخطرة (متى 10: 20 و21). وبغض النظر عما حدث لهم فان يسوع أكد لهم أن كل من يعترف به قدام الناس سوف يعترف به أمام أبيه السماوي (متى 10: 32). ولا يسع الإنسان إلا أن يتأثر من الموقف الواقعي الذي اتخذه يسوع، إذ لم يسمح للتلاميذ أن يستهينوا بقوة العدو أو يغضوا الطرف عن المقاومة الطبيعية لإنجيل الفادي. فهم لم يكونوا باحثين عن المتاعب. وفي الواقع، كانت وصية الرب لهم " كونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام " (متى 10: 16). مما يدعوهم إلى اليقظة والحذر. ولكن بالرغم من هذه الاحتياطات، فان العالم لم يكن مستعداً أن يقابل التلاميذ بالرضى عندما قاموا بأمانة للكرازة بالإنجيل. كانوا كخراف وسط ذئاب (متى 10: 16).

5- إنجيل يفرق بين الناس

ومن الأمور التي لها مغزى عميق، أن يسوع ذكرهم بالطبيعة الحاسمة لدعوة الإنجيل. فلا يمكن الاتفاق مع الخطية بأي حال من الأحوال. ولأجل هذا السبب، سينزعج كل الذين يساومون على الحق الإلهي من وعظ التلاميذ. انهم لم يكونوا مجرد مبعوثين يحافظون على قواعد الملاطفة والمجاملة. قال يسوع: "لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض، ما جئت لألقي سلاما بل سيفاً. فأني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها. وأعداء الإنسان أهل بيته. من أحب أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني. ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني " (متى 10:

34–38). وإذا كانت لدى التلاميذ أفكار سابقة عن سهولة عملهم، فلابد أنهم انتزعوها نهائياً من عقولهم بعد هذه التصريحات الخطيرة. لقد كانوا خارجين إلى العالم بإنجيل ثوري، إذا أُطيعت أوامره أحدث تغييراً ثورياً في الناس وفي مجتمعهم.

6- الاتحاد بالمسيح

إن الحقيقة التي أراد يسوع إبرازها في كل هذه التوجيهات، هي أن إرسالية تلاميذه لم تكن مختلفة في المبدأ أو الوسيلة عن إرساليته الخاصة. لقد بدأ بإعطائهم سلطانه وقوته ليقوموا بعمله (مرقس 6: 7، متى 10: 1، لوقا 9: 1). وختم بالتأكيد لهم بأن ما كانوا يعملونه كأنه يعمله هو بنفسه. قال يسوع: " من يقبلكم يقبلني. ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني " (متى 10: 40، قارن يوحنا 13: 20). ولك أن تفكر كثيراً في هذه الوحدة العجيبة! فالتلاميذ والمسيح واحد. كان المسيح ينظر إلى تلاميذه باعتبارهم الممثلين الفعليين له وهم يخرجون للخدمة باسمه إلى العالم. كان هذا الارتباط واضحاً حتى أن من سقى ولو كأس ماء بارد باسم تلميذ استحق الجزاء على هذا العمل الرحيم (متى 10: 42).

7- أرسلهم اثنين اثنين

هذه هي النصائح التي أسداها يسوع إلى تلاميذه. ولكن في خروجهم إلى العالم أرسلهم فريقا فريقا وكل فريق يتكون من تلميذين (مرقس 6: 7). وبلا شك كان المقصود بهذه الخطة أن يهيأ لتلاميذه الرفقة التي يحتاجون إليها في الطريق. وإذ يسير الاثنان معاً يعاون أحدهما الآخر، وإذا واجهتهما صعوبات . وهذا هو المرجح غالبا . كانا يستطيعان أن يجدا السلوى في سيرهما معا. كما أنه لا يفوتنا أن هذا التفكير يعكس رغبة المسيح الخاصة في ارتباط التلاميذ واتحادهم معا، يقول الكتاب: " فلما خرجوا كانوا يجتازون في كل قرية يبشرون ويشفون في كل موضع " (لوقا 9: 6، قارن مرقس 6: 12). أخيرا، شرعت الجماعة الصغيرة من التلاميذ من جانبها الخاص في خدمة المسيح بنشاط.

وبالطبع لم تكن خدمة التلاميذ سبباً في توقف يسوع عن العمل، أو إقلاله من الخدمة. انه لم يطلب أبدا من إنسان أن يقوم بعمل ليست له رغبة فيه. وهكذا إذ خرج التلاميذ للعمل خرج السيد أيضا من هناك ليعلم ويكرز في مدنهم (متى 11: 1).

8- إرسالية السبعين

لم تمض شهور كثيرة على إرسالية الاثني عشر حتى أرسل " سبعين آخرين " اثنين اثنين للشهادة لسيدهم (لوقا 10: 1). وليس معروفا على وجه التأكيد من هؤلاء التلاميذ الآخرون. ولكن هذا مما يدل بطبيعة الحال على اتساع العمل، وازدياد نشاط الاثني عشر في الشهادة للمسيح.

ونلاحظ كذلك أن التعليمات التي أعطيت لهذه الجماعة الكبيرة هي نفس التعليمات التي أعطيت من قبل للاثني عشر (لوقا 10: 1-16). أضاف المسيح شيئاً جديدا إذ قال لهؤلاء السبعين وهو يرسلهم " أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعا أن يأتي " (لوقا 10: 1). هذا معناه أن مهمة هؤلاء التلاميذ كانت في تمهيد الطريق لخدمة المسيح. وهذه التعليمات كانت قد أعطيت لهم قبل ذلك بأسابيع قليلة عندما كانوا يتأهبون لرحلة إلى السامرة (لوقا 9: 52). وفي الواقع، إن هذه التعليمات لم تكن جديدة عليهم إذ كانت لهم معرفة سابقة بها ولكنها جاءت للتأكيد لهم بوجوب ممارسة ما تعلموه من قبل بشأن استراتيجية السيد في الكرازة.

9- أوامر المسيح بعد القيامة

إن مبدأ إعطاء تعليمات للتلاميذ بشأن الكرازة، قد أيده المسيح ثانية قبل صعوده إلى السماء أي بعد موته وقيامته. وفي أربع مناسبات على الأقل التقى فيها مع تلاميذه وأخبرهم أن يذهبوا إلى العالم ويعملوا عمله. ذكر السيد أمر الكرازة لتلاميذه ولم يكن توما معهم في المساء الأول ليوم القيامة عندما كانوا مجتمعين في العلية. وبعد أن أظهر يسوع آثار المسامير في يديه وقدميه للتلاميذ المنبهرين (لوقا 24: 38-40) وشاركهم في الطعام (لوقا 24: 41-43) عندئذ قال لهم: " سلام لكم كما أرسلني الآب أرسلكم أنا " (يوحنا 20: 21). لقد أكد لهم يسوع مرة أخرى وعد الروح القدس وسلطانه على القيام بعمل الكرازة.

وبعد ذلك بقليل بينما كان يسوع يتناول طعام الإفطار مع تلاميذه على شاطئ بحر طبرية كلف بطرس ثلاث مرات أن يرعى غنمه (يوحنا 21: 15–17). هذا التكليف الذي أعطاه المسيح للصياد الكبير كان برهان محبته للسيد.

وعلى جبل في الجليل أعطى وصيته العظيمة. ليس فقط للأحد عشر تلميذا (متى 28: 16) ولكن أيضاً للكنيسة كلها وكان تعدادها حوالي خمسمائة أخ (1 كورنثوس 15: 6). كان هذا إعلاناً واضحاً لاستراتيجيته في غزو العالم. قال يسوع: "دفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (متى 28: 18–20، قارن مرقس 16: 15–18).

وأخيراً وقبل صعوده إلى الآب أعاد الأمر ثانية للمرة الأخيرة مبيناً لهم أن كل هذا الذي حدث له من صلب وموت وقيامة في اليوم الثالث كان لا بد أن يتم كما أنبأهم بذلك (لوقا 24: 44–46). ومضى يسوع يقول لتلاميذه بأن الواجب عليهم " أن يكرزوا بالتوبة ومغفرة الخطايا باسمه لجميع الأمم مبتدأين من أورشليم" (لوقا 24: 47). وفي سبيل تحقيق هذا الغرض الإلهي لم يكن نصيب التلاميذ أقل من نصيب سيدهم، إذ كانوا الأداة البشرية التي تعلن الأخبار السارة. كان الروح القدس مصدر قوتهم في إرساليتهم، " ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض" (أعمال 1: 8، قارن لوقا 24: 48و49).

10- المبدأ واضح

الواضح أن يسوع لم يترك عمل الكرازة خاضعا لتأثير أو ارتياح بشري. كانت الكرازة في بادئ الأمر وصية محددة للتلاميذ. فهموا هذه الوصية بطريقة تتسم بالتلهف على العمل بدون معرفة الثمن. وبالتدريج اتضحت الرؤيا في تفكيرهم وهم يتبعونه. وأخيرا، تبلورت بصورة واضحة لم تدع مجالا للشك. وما من أحد تبع يسوع زمنا طويلاً استطاع أن يفلت من هذه النتيجة. لقد كانت الرؤيا واضحة في ذلك الوقت، وهي أيضاً واضحة اليوم.

إن التلاميذ المسيحيين هم أشخاص مرسلون . وهم مرسلون إلى كرازة العالم كله بالانجيل، وهو العمل الذي أُرسل الرب له والذي لأجله بذل حياته. إن الكرازة ليست عملاً اختيارياً. إنها القلب النابض لهويتنا ولكل ما دعينا إليه. إنها مهمة الكنيسة التي تعطي معنى لكل شيء آخر تضطلع للقيام به باسم المسيح. وبوضوح هذا الغرض يكون لكل شيء نقوله أو نعمله تحقيق مجيد لقصد الله الفدائي . سواء كانت هذه الأعمال معاهد تربوية، أو برامج اجتماعية، أو مستشفيات خيرية، أو اجتماعات كنسية على مختلف أنواعها . كل شيء نعمله باسم المسيح له تبريره في إنجاز هذه الإرسالية.

11- تطبيق المبدأ اليوم

ليس كافياً أن نجعل هذا المبدأ مثلاً عالياً نرنو إليه بعيوننا. بل يجب على الذين يتبعون يسوع أن يعطوه تعبيراً محسوساً وملموساً وواضحاً للجميع. إن أفضل طريق للتأكد من أن عمل الكرازة يتم فعلاً هو أن نعين على تابعي المسيح عملاً محدداً في ميدان الكرازة، وننتظر منهم أن يقوموا به فعلاً. وبما أنهم رأوا سابقاً أن عملهم قد تأيد بالبرهان في حياة قائدهم، فليس هناك من سبب يدعو إلى عدم إكمال العمل الذي كلفوا به. وعندما تأخذ الكنيسة هذا الدرس بصفة جدية وتضع فيه قلبها، فان الجالسين في المقاعد سيتحركون أيضاً وينهضون للعمل لأجل مجد الله.

وكيفما كان الأمر فان من يبدأ في هذا العمل ليس معناه أنه سيستمر فيه بكل تأكيد. وعندما نتغلب على القصور الذاتي ونخطو أول خطوة في العمل العظيم، فان الأمر يحتاج منا أن نظل متحركين ونستمر عاملين ونسير في الاتجاه الصحيح. وبالتأكيد فان التوجيهات التي وضعها المسيح أمام تلاميذه لم تكن . على الأقل في بادئ الأمر . تخرجا من مدرسة المسيح. لقد كان أمامهم الشيء الكثير ليتعلموه قبل تخرجهم. وإلى أن جاء هذا الوقت، لم يكن قصده أن يجعلهم بعيدين عن توجيهه الشخصي لهم. كان اهتمامه في هذه المرحلة واضحاً لدرجة أننا نقدر أن نعتبرها خطوة ثانية في الاستراتيجية الموضوعة نحو النصر النهائي.

****

الفصل السابع: الإشـراف

" ألا تشعرون بعد ولا تفهمون " (مرقس 8: 17)

1- كان دائما يشرف عليهم

كـان يسـوع مهتمـاً دائمـاً بمتابعـة رحـلات تلاميـذه التبشـيرية ليسـمع تقاريرهم وليشتركوا معه أيضاً في أفراح خدمته. هكذا، يمكننا أن نقول أن أحاديثه كانت تدور حول إعطاء التوجيهات وتعيين الأماكن التي يذهبون إليها. وعندما اجتمع معهم ساعدهم على فهم عمل سابق، أو أعدهم على تقبـل اختبـار جديـد. كـل أسـئلته وتوضـيحاته وإنذاراتـه ونصـائحه كـان الغرض منها أن يعطيهم ما يحتاجون إلى معرفته لكي يتمموا عمله، وهو الكرازة للعالم أجمع.

وبناء على ذلك لم يمض وقت طويل على إرساله الاثني عشر، حتى اجتمعوا كلهم إلى يسوع " واخبروه بكل شيء، كل ما فعلوا وكل ما عملوا " (مرقس 6: 30، لوقا 9: 10). ويتضح لنا من الإنجيل أن هذا الاجتماع كان بترتيب سابق. ومن هنا نعلم أن هذه الرحلة الانفرادية للتلاميذ، كانت مجرد تعيين ميداني لزيادة خبرتهم بينما استمروا في تدريبهم تحت إرشاد سيدهم. إن اجتماع التلاميذ ما بعد الانتهاء من رحلتهم التبشيرية أعطاهم بطبيعة الحال ما كانوا في حاجة إليه من الراحة الجسدية والنفسية. أما

الوقت الذي كان يقضيه التلاميذ معا فالكتاب لا يذكره. ولعله لا يتعدى بضعة أيام أو أسبوعا على الأكثر لكن عنصر الوقت هنا ليس بذات أهمية. إنما المهم هو أن اجتماعهم كان لتبادل الاختبارات مع بعضهم البعض.

وعلى هذا القياس خرج السبعون تلميذاً للكرازة ثم دعاهم يسوع إلى العودة لكي يرفعوا تقريراً عن عملهم. يقول الكتاب: " فرجع السبعون بفرح قائلين يا رب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك" (لوقا 10: 17). ونلاحظ أنه في الإرسالية السابقة للاثني عشر لم يرد ذكر عن نجاح يلفت الأنظار في عملهم، ولكن في هذه المرة جاء هذا التقرير المفرح عن نجاح عملهم. ولعل الفرق بين الرحلتين هو هذا الاختبار الجديد الذي اكتسبه التلاميذ.

ولم يكن هناك شيء أخر يستطيع أن يجلب ليسوع فرحاً أكثر من هذا الحدث. ورأى بعينيه النصر النهائي الذي سيتحقق بكل تأكيد نتيجة عملهم فقال لهم: " رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء " (لوقا 10: 18). وفي تلك الساعة تهلل يسوع بالروح القدس وقال: " أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال" (لوقا 10: 21 و 22). وهذا ما كان يسوع يعمل جاهداً من أجله كل هذه الشهور الطويلة، والآن ابتدأ أن يرى ثمراً لأتعابه. ومع ذلك كان يسوع في منتهى اليقظة حتى لا يقود هذا الحدث تلاميذه إلى الكبرياء بسبب ما أنجزوه من أعمال ولذلك قال لهم: " لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كتبت في السموات " (لوقا 10: 20).

2- مراجعة مستمرة وتطبيق عملي

في هذه الجلسات الخاصة بمتابعة التلاميذ نستطيع أن نرى بوضوح شيئاً جوهرياً. كان يسوع أثناء مراجعته للاختبارات التي حصل عليها التلاميذ في خدمتهم . يخرج من هذه الاختبارات بتطبيق عملي لحياتهم.

خذ . على سبيل المثال . الطريقة التي استجاب بها السيد للجهود اليائسة التي بذلها بعض التلاميذ في شفاء صبي مريض. وقع هذا الحادث بينما كان يسوع على جبل التجلي ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا. وفي غيابه حاول التلاميذ الآخرون أن يشفوا ولداً به روح أخرس كان قد أتى به أبوه. كانت المشكلة أكبر من إيمانهم. وعندما عاد يسوع ليرى كيف تسير الأمور وجد الأب الحزين وطفله المصروع أمام التلاميذ العاجزين. وبالطبع اعتنى يسوع بالولد المريض وأخرج منه الروح الأخرس لكنه لم يدع الفرصة تمر من غير أن يلقي على التلاميذ درساً هم في أشد الحاجة إليه. هذا الدرس العظيم هو كيف يستطيعون أن يتمسكوا بالله بالإكثار من الصلاة والصوم (مرقس 9: 17-29، متى 17: 14-20، لوقا 9: 37-43).

وانظر أيضاً إلى الطريقة التي بها أثبت عجزهم في إشباع الجماهير ليظهر لهم قدرته على كل شيء وفي نفس الوقت أعطاهم درساً حيوياً في التمييز الروحي (مرقس 6: 30-44 و 7: 31، 8: 9 و 13-21، متى 14: 13-21 و 15: 29-38، لوقا 9: 10-17، يوحنا 6: 1-13).

وقعت حوادث هذه القصة بينما كانوا يعبرون بحر الجليل في سفينة وكان السيد متضايقاً من المذاهب الدينية وهي تطلب بإلحاح آيات ومعجزات (مرقس 8: 10–12، متى 15: 39، 16: 4). كان يسوع يشعر بحزن شديد بسبب موقف اليهود في طلب الآيات، وعندئذ اتجه إلى تلاميذه وقال لهم : " تحرزوا من خمير الفريسيين" . ولكن التلاميذ الأغبياء روحياً والجائعين إلى طعام الجسد إذ لم يكن عندهم في ذلك الوقت إلا رغيف واحد، فهموا من كلمة المسيح أنها تحذير لهم من شراء الخبز من أولئك القوم غير المؤمنين. لذلك تساءلوا فيما بينهم من أين يشترون الخبز للوجبة القادمة. وإذ رأى المسيح أنه فاتهم الدرس الروحي من ملاحظاته قصد أن يحذرهم من خطية عدم الإيمان فقال لهم: " يا قليلي الإيمان! لماذا تفكرون أن ليس عندكم خبز؟ ألا تشعرون بعد ولا تفهمون؟ أحتى الآن قلوبكم غليظة؟ ألكم أعين ولا تبصرون ولكم آذان ولا تسمعون ولا تذكرون؟ حين كسرت الأرغفة الخمسة للخمسة الآلاف كم قفة مملوءة كسراً رفعتم. قالوا له اثنتي عشرة " (مرقس 8: 17–19، مرقس 16: 8).

بلا شك أعاد هذا الحديث إلى أذهان التلاميذ ذكريات ذلك اليوم الذي فيه أجلسوا الجموع لأجل الغذاء ثم رأوا يسوع يعمل معجزة الأرغفة الخمسة. تذكروا أيضاً كيف استخدمهم في توزيع الطعام على الناس فأخذ كل واحد كفايته ثم جمعوا ما فضل من الكسر. في الواقع، كانت ذكرى لا تنسى لأن كل واحد من الاثني عشر تلميذا أخذ معه قفة مملوءة من الطعام بعد أن أكل الجميع وشبعوا. كذلك تذكروا كيف أخذوا سبع سلال بعد أن أشبع يسوع أربعة آلاف نفس. وبهذا الدليل الواضح على قدرة يسوع المعجزية، لم يكن عندهم شك في قدرته على إشباعهم بالرغيف

الواحد إذا رأى لزوماً لذلك. يقول الكتاب: " حينئذ فهموا أنه لم يقل أن يتحرزوا من خمير الخبز بل من تعليم الفريسيين والصدوقيين " (16: 12).

3- دروس في الصبر

من أكثر الخطابات تأثيراً وتقويماً ما ألقاه الرب على التلاميذ وهو يتابع نشاطهم ويلاحظ موقفهم بازاء الذين يعملون باسم المسيح وهم ليسوا من جماعة الرسل. ويبدو أنهم التقوا في أثناء رحلاتهم ببعض أشخاص يخرجون الشياطين باسم المسيح. ولكن بما أن هؤلاء الأشخاص لم يكونوا من نفس المجموعة فقد أنهال عليهم التلاميذ توبيخاً وأوقفوهم عن العمل (مرقس 9: 38، لوقا 9: 49). وبلا شك كان التلاميذ يشعرون في قرارة نفوسهم أنهم يعلمون الصواب. ولكن عندما قدموا تقريرهم إلى يسوع رأى من اللازم أن يعطيهم درساً في أخطار إحباط الآخرين الذين يعملون عمل المسيح بإخلاص (مرقس 9: 39-50، متى 18: 6-14). قال لهم يسوع: " لا تمنعوه، لأن من ليس علينا فهو معنا " (لوقا 9: 50).

وإذ أراد أن يجعل كلامه منطبقاً بصفة عامة على جميع الأبرياء وبالأخص على الأطفال الصغار، مضى في حديثه قائلاً: ومن أعثر أحد الصغار المؤمنين بي فخير له لو طوق عنقه بحجر رحى وطرح في البحر (مرقس 9: 42). يقول الكتاب: " هكذا ليست مشيئة أبيكم الذي في السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار " (متى 18: 14).

وفي رحلة أخرى واجه التلاميذ مقاومة في عملهم وهم يجتازون السامرة. واشتعل يعقوب ويوحنا غضبا وطلبا أن تنزل ناراً من السماء وتفني هؤلاء الناس (لوقا 9: 51-54). كان يسوع واقفاً بجوارهما فالتفت إليهما وانتهرهما قائلاً: " لستما تعلمان من أي روح أنتما فان ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص" (لوقا 9: 55 و 56). وإذ بين لتلاميذه كيف يحلون مشكلة من هذا القبيل " مضوا إلى قرية أخرى " (لوقا 9: 56).

4- مراعاة المبدأ

يمكننا أن نذكر قصصاً أخرى كثيرة نتبين منها كيف كان يسوع يتابع الأفعال ورد الأفعال في تلاميذه وهم يواجهون مواقف كثيرة صعبة. كانت عينه عليهم باستمرار معطياً إياهم انتباهاً متزايدا كلما كانت خدمته تقرب من النهاية ولم يسمح لهم بالتوقف عند النجاح أو الفشل. ومهما قاموا من أعمال، فلا يزال أمامهم دائماً شيء أكثر ليعملوه أو يتعلموه. وكان يبتهج لنجاحهم ولكن هدفه لم يكن شيئاً أقل من ربح العالم كله. ونحو هذا الهدف كان دائماً يتابع جهودهم ويحثهم على مواصلة الخدمة.

كان التدريب على يديه في أفضل حالة وأعلى مستوى. كان يسمح لتلاميذه أن يختبروا الحياة المسيحية ثم يذكروا ملاحظاتهم وانطباعاتهم. ثم يأخذ يسوع مما يقولونه ويجعل منه نقطة ابتداء ليعلمهم درساً في التلمذة. والحقيقة أنهم حاولوا أن يعملوا عمل سيدهم ولو فشلوا فيه أحياناً. كان هذا الفشل يعطيهم إحساساً متزايدا بعدم كفايتهم ولأجل ذلك كانوا أكثر

استعداداً لقبول توجيهات السيد. فضلاً عن ذلك، فقد كانت مواجهتهم لبعض مواقف الحياة تعطي المسيح فرصة لتعليمهم وتطبيق ما تعلموه تطبيقاً عملياً. إن الإنسان يزداد تقديره دائماً للتدريب بعد اختباره تطبيق ما تعلمه.

وإن بيت القصيد في كل عمل يسوع في الإشراف والمتابعة هو أن يجعل التلاميذ يمضون بلا توقف نحو الهدف العظيم الذي وضعه لهم. وهو لم يتوقع من تلاميذه شيئاً أكثر مما كانوا يستطيعون أن يفعلوه. ولكنه كان ينتظر منهم دائماً أن يفعلوا أحسن ما يقدرون عليه، وهذا ما كان ينتظره منهم دائماً طالما كانوا ينعمون في المعرفة والنعمة. وكانت خطته في التعليم باستخدام المثال الحي، وبتعيين الخدمات، وبالمتابعة المستمرة مضمونة النتائج.

5- تطبيق المبدأ اليوم

إن الذين يرغبون اليوم في تدريب الآخرين على الكرازة مطالبون بموالاة الإشراف عليهم بحيث لا يقل هذا الإشراف صبراً وحزماً عن صبر وحزم يسوع في إشرافه على التلاميذ. لا يجب أن يبلغ بنا الظن أن الشخص الراغب في الخدمة لا يحتاج منا إلا إلى توجيهات بسيطة ثم نرسله إلى العمل ويعود من عمله بنتائج رائعة ومذهلة. إن أمورا لا تعد ولا تحصى قد تحدث فتعترض الطريق وتعطل العمل. وما لم تعالج هذه الأمور بطريقة واقعية بواسطة أشخاص فاهمين ومقتدرين فان الشخص الذي يرغب في عمل الكرازة يتعرض بسهولة للفشل والهزيمة. وبمثل ذلك

تحتاج الاختبارات المبهجة إلى مزيد من التعمق والاستنارة عندما تفسر في نور انتصار المسيح النهائي على العالم. إنه إذاً أمر حيوي أن الذين يقومون بعمل الكرازة يحتاجون إلى الإشراف الشخصي والإرشاد المستمر إلى أن يأتي الوقت الذي فيه ينضجون ويتحملون مسئولية العمل بمفردهم.

يلزمنا أن نذكر دائماً أن الهدف هو ربح العالم كله للمسيح. ولا يجب أن نكتفي بغرض أقل من هذا الغرض. وكم من مرات التقينا فيها بشخص في مركز خدمته ولا يقبل مزيداً من التدريب أو الإلهام وتكون النتيجة أن نشاطه يكون محصوراً في دائرة عمله الضيقة بلا نمو ولا رغبة في التوسع، كما أن المقدرة الكامنة في الكرازة لا تظهر ولا تكبر. ولا يمضي وقت طويل حتى يضيع هذا القائد الذي كان يبشر بالنجاح بسبب الحاجة إلى من يشرف عليه ويوسع آفاق الخدمة قدامه. إن النجاح يضيع. وما كان يبدو شيئاً حسناً يصير بعد فترة من الزمن حجر عثرة.

بلا شك فان مجهودنا في سبيل الملكوت يتناثر ويضيع هباء لهذا السبب عينه. ونحن نفشل، لا بسبب أننا لا نحاول أن نعمل شيئاً، ولكن لأننا نسمح لمجهوداتنا الضئيلة أن تقف عذراً يحول دون قيامنا بعمل أكبر وتكون النتيجة أننا نخسر امتياز السنين المعطاة لنا للقيام بعمل منتج وتضحية مثمرة. متى نتعلم درس المسيح فلا نكتفي بمجرد الباكورات التي يأتي بها أولئك الذين نرسلهم للشهادة؟

إن التلاميذ يلزمهم أن يصلوا إلى مرحلة النضوج ولا يمكن أن يكون هناك بديل للنصر النهائي. إن حقلنا هو العالم المتسع بأجمعه ونحن لم

نأخذ الدعوة لكي نكون مدافعين فقط بل لكي نكون مهاجمين أيضاً. وفي هذا النور نستطيع أن نفهم الخطوة النهائية لاستراتيجية يسوع في الكرازة.

****

الفصل الثامن: التكاثر

" أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم " (يوحنا 15: 16)

1- انتظر المسيح منهم ثمراً

قصد يسوع لتلاميذه أن ينتجوا حياة شبيهة بحياته في الكنيسة، وبواسطة الكنيسة التي ستتجمع من كل بقاع الأرض. هكذا تتضاعف خدمته في الروح القدس مرات كثيرة بواسطة خدمته في حياة تلاميذه، وبواسطتهم وعن طريق أناس نظيرهم ستستمر في الامتداد وسيأخذ محيطها في الاتساع إلى أن تعرف الجماهير بطريقة مماثلة الفرصة التي سنحت للتلاميذ مع السيد نفسه. بهذه الاستراتيجية كان كسب العالم مسألة وقت فقط إذا توفرت أمانتهم في تنفيذ خطة السيد.

لقد بنى يسوع في تلاميذه كنيسة تتحدى كل قوات الموت والجحيم، وتنتصر عليها جميعاً. بدأت الكنيسة صغيرة مثل حبة الخردل، ولكنها نمت وكبرت حتى صارت أكبر البقول، وأصبحت شجرة حتى أن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها (متى 13: 32، قارن مرقس 4: 32، لوقا 13: 18 و 19). لم ينتظر يسوع أن كل واحد من الناس سيقبل الخلاص. كان يعرف بتمرد الناس معرفة واقعية بالرغم من غنى النعمة ومجانيتها، لكنه رأى ذلك اليوم الذي ينادي فيه بإنجيل الخلاص باسمه

بقوة وإقناع إلى كل الخليقة. فكنيسته المجاهدة ستكون يوما الكنيسة الجامعة التي ستمتد إلى كل ربوع العالم كما أنها ستكون الكنيسة المنتصرة.

لن يكون هذا الانتصار سهلاً. فان كثيرين سيقاسون الاضطهاد والاستشهاد في المعركة. لكن بالرغم من التجارب الكثيرة التي يجوزها شعبه، والمعارك الكثيرة الوقتية التي يخسرونها، إلا أن النصر أمر مؤكد كل التأكيد. إن كنيسته ستكسب الحرب في النهاية. لن يقوى عليها شيء ولن يستطيع أن يقف أمامها أي حصن (متى 16: 18).

2- الانتصار بواسطة الشهادة

هذه الثقة العظيمة في المستقبل مبنية على معرفة المسيح الوثيقة بأشخاص سجدوا ويسجدون له في الوقت الحاضر. لقد عرف أن تلاميذه أدركوا على الأقل جوهر مجده. لخص بطرس اعترافه العظيم بقوله ليسوع " أنت هو المسيح ابن الله الحي " (متى 16: 16، قارن مرقس 8: 29، لوقا 9: 20). كان هذا حقاً قوياً راسخاً لا تمحوه الأجيال. وعلى هذا الأساس رأى يسوع الصورة الواضحة التي ستكون عليها كنيسته المنتصرة فأجاب قائلاً: " أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي " (متى 16: 18).

تثير هذه الكلمات إلى المبادرة البشرية في تحقيق كلام المسيح. وبغض النظر عن المجادلات التي أثيرت حول هذه العبارة في المحافل

الكنسية، فإننا نتفق على الأقل في أن كلمات الرب يسوع كانت موجهة إلى شخص كان قد صرح بإقرار الإيمان في سيده. في الواقع، إن هذا الاعتراف الصريح بأن يسوع هو ابن الله الحي لم يكن شيئاً نابعاً من قريحة بطرس كما أوضح يسوع جلياً هذه الحقيقة (متى 16: 17). مع ذلك فان اختبار هذا الإعلان العظيم في حياة بطرس كان واقعاً في نطاق " لحمه ودمه "، وعن طريق هذا الاعتراف الأمين بتلك الحقيقة للآخرين أصبح مصير الكنيسة سائراً نحو النصر. وكيف تهلك كنيسة المسيح أو تتلاشى من الوجود؟ إن إيمان الرسل في المسيح الحي قد استقر في حياتهم حتى أصبح هذا الإيمان في شخص المسيح صخرة صلبة قوية . وهي الصخرة التي اعترف بطرس بأنها المسيح نفسه " حجر الزاوية " والتي صار عليها كل المؤمنين "حجارة حية" في بناء كنيسته (1 بطرس 2: 4-8، قارن أفسس 2: 20-22).

وكيفما كان الأمر فلا يجب أن نغفل عن رؤية العلاقة المباشرة بين حمل الشهادة للمسيح والانتصار النهائي على العالم. لا يمكن أن ينفصل الأمران عن بعضهما أبداً. فكل حقيقة من هاتين الحقيقتين مرتبطة بالأخرى. إن إدماج هاتين الحقيقتين الهائلتين معاً بقوة الروح القدس هو في الواقع أعظم سر في خطة المسيح الاستراتيجية للكرازة.

3- مراعاة المبدأ

يتوقف نجاح الكرازة على تلاميذ المسيح. لقد كانوا بمثابة طليعة الجيش. انتظر المسيح أن يؤمن الآخرون " بواسطة كلامهم " (يوحنا 17: 20) وهؤلاء يخبرون غيرهم. هكذا تستمر الكرازة جيلاً بعد جيل إلى أن يأتي الوقت الذي فيه يعرف الناس جميعاً من هو المسيح ولأي غرض جاء إلى العالم (يوحنا 17: 21-23). إن كل استراتيجية المسيح في الكرازة . أي تحقيق الغرض من مجيئه إلى العالم، وموته على الصليب، وقيامته المجيدة . كان متوقفاً على أمانة تلاميذه المختارين للقيام بهذه المهمة. وليست الأهمية في الجماعة الصغيرة التي بدأت بالعمل ولكن المهم أنهم ينتجون ويتكاثرون عن طريق تعليمهم للآخرين وتدريبهم وحثهم على ضرورة الإنتاج والإثمار. وهذا هو الطريق الذي كان على كنيسة المسيح أن تسلكه لكي تكسب العالم للمسيح بواسطة أشخاص مكرسين يعرفون المخلص معرفة حقيقية لدرجة أن روحه وطريقته في الكرازة يدفعانهم لكي يخبروا الآخرين. هذه هي طريق المسيح البسيطة ولكنها في بساطتها طريق الإنجيل للانتصار. ولم يكن لدى المسيح خطة أخرى غير هذه الخطة البسيطة والفعالة.

4- محك خدمته

هذا هو المحك الحقيقي لفحص خدمة المسيح. يا ترى هل كان عند تلاميذ المسيح الرغبة القوية في مواصلة عمله بعد أن صعد إلى السماء؟ هل كان عند التلاميذ المقدرة على القيام بالعمل من غير إشرافه عليهم كمقدرتهم لما كان حاضراً معهم ومشرفاً عليهم؟ وقد يبدو للبعض أننا

نتوقع الكثير من التلاميذ. إذا لم يكن عند التلاميذ الرغبة والقدرة على الكرازة فلا يكون استثمار المسيح في حياتهم قد جاء بنتيجة مجزية لامتداد الملكوت. ولو كانوا قد فشلوا في إعطاء روحه وطريقته في الكرازة للآخرين الذين يرغبون في استمرار هذا العمل، فان خدمته معهم طوال هذه السنين كانت تحسب بلا جدوى وضرباً من العبث.

ولا عجب إذن أن يسوع قد أصر إصراراً قوياً على تلاميذه بوجوب الإثمار والتكاثر، بحيث أن حياته فيهم يجب أن تنتج حياة شبيهة بها. لتوضيح هذه الحقيقة وتمكينها في أذهانهم، ضرب لهم مثل الكرمة والأغصان (يوحنا 15: 1-17)، وهو من أكثر الأمثلة بساطة وعمقاً. وقد أوضح المسيح بهذا المثل الغرض من الكرمة (أي شخصه) ومن الأغصان (أي المؤمنين به) وهو الإتيان بثمر. كل غصن لا يأتي بثمر فما على الكرام إلا أن يقطعه لأنه بلا قيمة. ما هو أكثر من ذلك ان الأغصان المثمرة يأتي إليها الكرام بمقصه الحاد لينقيها حتى تأتي بثمر أكثر (يوحنا 15: 2). كان المغزى الواضح من هذا المثل أن قوة الكرمة التي تمد الأغصان المثمرة بالحياة لم يكن لها أن تعطي الحياة بلا توقف للأغصان التي توقفت عن الحياة وعن الثمر. إن الغصن الذي يستمد حياته من الكرمة لا بد له أن يثمر لأن الثمر جزء من طبيعته. طبق يسوع هذا المثل على تلاميذه. وبما أنهم بالتأكيد مشتركون في حياته، فعليهم أن يحملوا ثمره (يوحنا 15: 5 و 8) وأن يدوم ثمرهم (يوحنا 15: 16). إن المسيحي العقيم هو شخص يتناقض مع طبيعة حياته، ومع الغاية من وجوده لأن الشجرة تعرف من ثمرها.

أكد المسيح هذا المبدأ مرات متعددة طوال أيام خدمته، فقد كان الثمر خير مكافأة لذبيحته الكفارية عن العالم (يوحنا 12: 24 قارن يوحنا 17: 19). كان الثمر عملاً مميزاً للذين يفعلون إرادة أبيهم الذي في السماء (متى 7: 16-23، لوقا 6: 43-45). وكان الثمر بمثابة الأجر الذي يعطي لتلاميذه على تعبهم في الحصاد (يوحنا 4: 36-48). وكان الحرمان من الثمر عقاباً لأولئك الذين جعلوا هموم العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الأشياء تخنق كلمة الله المغروسة في قلوبهم فتصير بلا ثمر (مرقس 4: 18-20، متى 13: 22 و 23، لوقا 8: 14 و 15). كما أنه لوحظ أن عدم الثمر هو الشيء البارز في حياة الصدوقيين والفريسيين مما استحقوا عليه الويلات من فم المسيح (متى 3: 7 و 8، 12: 33 و 34، لوقا 13: 6-9). وبطرق كثيرة وبين كل الناس دعا يسوع الجميع لكي يقيموا حياتهم بنوع الثمر الذي يثمرونه لأن الثمر هو دليل إيمانهم وهويتهم. وعندما تظهر حياة المسيح فينا أولاً، ثم في حياة الآخرين عن طريق كرازتنا، فإن كل شيء قاله المسيح أو فعله يتجه عملياً نحو هذا المبدأ مبدأ الإنتاج المستمر والتكاثر المتواصل إلى أن يعرف الجميع حقيقة المسيح.

5- الإرسالية العظمى

إن الإرسالية العظمى التي كلف بها المسيح كنيسته تتلخص في هذا الأمر: "تلمذوا جميع الأمم" (متى 28: 19). وتشير هذه الكلمة إلى أن التلاميذ كان عليهم أن يذهبوا إلى العالم ويربحوا الآخرين ويجعلوهم تلاميذ المسيح مثلهم. وهذه الإرسالية تتأكد لنا أكثر عندما ندرسها في اللغة اليونانية الأصلية. فالكلمات "اذهبوا" و"عمدوا" و"علموا" هي في صيغة اسم فاعل في اللغة اليونانية. وهي جميعها تعتمد على الفعل "تلمذوا". إن الإرسالية العظمى ليس معناها مجرد الذهاب إلى أقصى الأرض كارزين بالإنجيل (مرقس 16: 15)، أو الاكتفاء بتعميد المتجددين باسم الإله الواحد المثلث الاقانيم، أو الاكتفاء بتعليم المتجددين مبادئ المسيح. إنها تعني أن " يتلمذوهم "، أي أن يبنوا رجالا يصيرون مثلهم في مستقبل الأيام. يصيرون تلاميذا للمسيح لا يكتفون باتباع السيد فقط ولكن يقودون آخرين إلى أتباع طريقه. وعن طريق التلمذه للمسيح يقدرون أن يؤدوا الأمور الأخرى التي جاءت في هذه الإرسالية العظمى مثل القيام بالمعمودية والتعليم.

6- الصلاة لأجل فعلة للحصاد

القيادة هي مركز الاهتمام. سبق ليسوع أن أوضح بواسطة خدمته أن الجماهير الضالة تشبه الحقول الناضجة للحصاد. فهل يتم ربحهم للمسيح بدون رعاة روحيين لهدايتهم؟ لذلك ذكر المسيح تلاميذه قائلاً: "اطلبوا من رب الحصاد لكي يرسل فعلة إلى حصاده" (متى 9: 37 و 38، قارن لوقا 10: 2). ويكاد المسيح ينطق بهذه الكلمات بنغمة اليأس لإحساسه بحاجة العالم الخطيرة إلى عمال يكونون معهم ويعتنون بنفوسهم. وقد

يقول قائل انه لا ترجى فائدة من الصلاة لأجل خلاص العالم. وأية فائدة تقدمها الصلاة (بدون كرازة) للعالم؟ فالله قد أحب العالم وبذل ابنه لخلاص جميع الناس. الأفضل أن نقول، ليس هناك أي نفع من تقديم صلاة غامضة لأجل العالم. فيجب علينا أن نصلي لأجل فعلة. إن العالم هالك وأعمى بسبب الخطية. وإن الرجاء الوحيد للعالم هو في أشخاص مكرسين يذهبون إليه بإنجيل الخلاص. وبعد أن يكسبوهم للمخلص، لا يجب أن يتركوهم وشأنهم، بل عليهم أن يعملوا معهم بأمانة وصبر واجتهاد إلى أن يصيروا مسيحيين مثمرين يعطرون العالم من حولهم بأريج محبة الفادي.

ولست أنتقص من قيمة الصلاة كما قد يتطرق إلى ذهن القارئ، ولكني أريد أن أبين أهمية القيادة وفضل القادة المكرسين الذي يرسلهم الله نتيجة الصلاة. أما الصلاة وحدها من غير عمل إيجابي فلا تجدي في خلاص العالم.

7- تطبيق المبدأ على حياتنا

وهنا في النهاية يلزمنا جميعاً أن نقيم المساهمة التي تؤديها حياتنا وشهادتنا لتحقيق الغرض الأسمى للمسيح مخلص العالم. هل أولئك الذين يتبعون المسيح بسببنا يقودون الآخرين أيضاً إليه ويعلمونهم أن يكونوا تلاميذ للمسيح مثلنا. لنذكر أنه ليس كافياً أن ننقذ الهالكين مع أن هذا أمر الهي. وليس كافياً أن نبني حياة حديثي الإيمان لكي يتقوى إيمانهم في المسيح مع أن هذا لازم. وفي الحقيقة ليس كافياً أيضاً أن نرسلهم

ليكسبوا نفوساً للمسيح مع أن هذا العمل مرغوب وممدوح. ولكن ما يعول عليه أكثر من كل ما ذكرنا في الاستمرار في عملنا إلى آخر مدى هو الأمانة التي يخرج بها المتجددون على أيدينا ويصنعون قادة من الذين تجددوا على أيديهم . ليس مجرد تابعين بل قادة يشعرون بعبء المسئولية على عاتقهم. وبالتأكيد نحن نريد أن نكسب جيلنا للمسيح، وأن نكسبه الآن ولكن ليس هذا كافياً. إن عملنا لا ينبغي أن يتوقف أو ينتهي إلا إذا كنا على يقين من استمراره في حياة أولئك المفديين بإنجيل المسيح.

إن المحك لنجاح أي عمل من أعمال الكرازة ليس فيما يبدو في اللحظة التي نعيش فيها، أو في التقارير التي نرفعها إلى المؤتمرات العامة، ولكن في التأثير الفعال الذي يستمر به العمل في الأجيال القادمة. وعلى هذا الأساس فان الكنيسة لا يجب أن تقيس نجاحها بعدد الأسماء التي تنضم إلى سجل العضوية، ولا بمقدار زيادة الميزانية. ولكن مقياس نجاحها هو في كم عدد المسيحيين الذين يعملون بنشاط في ربح النفوس وتدريبهم لاكتساب الآخرين. إن المدى النهائي لشهادتنا هو الذي يعنينا. ولأجل هذا السبب لا يمكن أن تقاس القيم الحقيقية لأي عمل إلا في نور الأبدية.

أليس هذا هو الوقت المناسب الذي فيه نعيد النظر إلى تقييم حياتنا وخدماتنا بمقاييس السماء؟ حسناً قال: دوسن تروتمان " أين رجالنا؟ وماذا يعملون الآن لمجد الله" ؟ تعالوا بنا نرسم صورة لمستقبل الكنيسة؟ ولنفرض أننا ربحنا الآن تلميذاً حقيقياً واحداً، ثم كسب هذا التلميذ شخصاً أخر للمسيح مثله. أليس هذا مما يضاعف خدمتنا على وجه السرعة؟

ولنفرض أننا اكتسبنا شخصاً ثانياً للمسيح ثم ذهب هذا الأخ الجديد إلى شخص آخر وربحه للمسيح. ألا يضاعف هذا العمل أيام عمرنا أربع مرات؟ وبهذا الأسلوب الحسابي تكون خدمتنا وحدها نظرياً على الأقل . قد وصلت إلى عدد هائل من الجماهير عن طريق خدمة الأشخاص الذين ندربهم على العمل. هذا يتحقق بكل تأكيد إذا كان ذلك الشخص الذي دعوناه تلميذاً للمسيح بمعنى الكلمة قد تبع حقاً خطوات السيد.

8- أُثبت نجاح خطة السيد في الكنيسة

لا يسعنا إلا أن نشكر الله لأن التلاميذ الأولين اتبعوا خطوات السيد في الكرازة. فقد أعطوا الإنجيل للجماهير ولكنهم في نفس الوقت عملوا على توطيد الشركة مع أولئك الذين آمنوا. وكما كان الرب يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون فان الرسل على مثال سيدهم .كانوا يؤهلون المؤمنين لتوسيع خدمتهم إلى أقاصي الأرض، وما سفر أعمال الرسل في الواقع إلا شرحا لمبادئ الكرازة في حياة المسيح كما ظهرت في حياة الكنيسة النامية.

يكفي أن نقول أن الكنيسة الأولى برهنت على نجاح خطة السيد في اكتساب العالم للمسيح. كان تأثير شهادتهم عظيماً لدرجة أنه قبل انتهاء القرن الأول كانت أساسات المجتمع الوثني قد اهتزت، وكانت الكنائس النامية موجودة في أكبر المراكز ازدحاماً بالسكان. ولو استمرت القوة الدافعة في امتداد الكنيسة كما كانت عليه الكنيسة منذ نشأتها، لكانت جماهير العالم في مدى قرون قليلة قد عرفت لمسة يد المسيح.

9- الطرق المختصرة مصيرها الفشل

لكن الأزمنة تغيرت، وبالتدرج تغيرت طريقة المسيح البسيطة في الكرازة وصبت في قالب جديد. ولا بأس من إجراء بعض التعديلات في نور الظروف المتغيرة. ولكن المؤسف أنه بطريقة أو بأخرى تغيرت المبادئ نفسها رغبة في إعطاء الرسالة شكلاً جديداً. ويبدو أن مبادئ القيادة والنمو والتكاثر قد أبدلت باستراتيجية أسهل وهي تجنيد الجماهير لعمل الكرازة، وأن الهدف القريب وهو المقصود في تجنيد الأعداد الكبيرة في الكرازة كانت له الأفضلية على الهدف الطويل المدى وهو الوصول إلى العالم عن طريق عدد قليل من الأفراد المجددين المختبرين. إن الطريق الحديثة للكنيسة قد عكست هذه الصورة نفسها باستخدام الطرق السريعة المختصرة. وأحياناً .كما يحدث في أزمنة النهضات الروحية العظيمة .تأخذ مبادئ طريقة المسيح المقام الأول ولكن هذا لا يكون إلا في فترات قصيرة ثم يعود قادة الكنيسة إلى الطرق السريعة المختصرة. إن قادة الكنيسة في وقتنا الحاضر لم ينكروا مبادئ المسيح في الكرازة ولكنهم فقط تجاهلوها واحتفظوا بها في متحف الذكريات لتمجيد الماضي ولكنهم لم يمارسوها بصفة جدية كقانون للعمل به وكمبادئ قوية للكرازة الفعالة، وان كانت مبادئ المسيح تسير بخطوات بطيئة ولكنها تتقدم بخطوات ثابتة وأكيدة.

10- النتيجة اليوم

وهذه هي مشكلة منهجية أسلوبنا اليوم. فنحن نقيم حفلات، ونضع برامج، وننشئ منظمات، وننهض بحملات من صنع التفكير البشري، ونحاول جاهدين أن نقوم بالعمل الذي لا يقوم به إلا أشخاص مكرسون ومعتمدون على قوة الروح القدس. ونحن لا نقصد أبداً بهذا الكلام أن نقلل من شأن المجهودات النبيلة لأنه بدون هذه المجهودات لا تستطيع الكنيسة أن تؤدي وظيفتها. ولكن ما لم تكن ارسالية السيد الشخصية وخطته في الكرازة مندمجة اندماجاً فعلياً وحيوياً مع هذه المجهودات، فان الكنيسة لا تستطيع أن تقوم بدورها كما يجب.

متى يحين الوقت الذي فيه نتأكد تماماً أن الكرازة لا تتم بشيء ما ولكن بنوع معين من الأشخاص؟ إن الكرازة تعبير عن محبة الله، وإن الله شخص له كل المهابة والمحبة والاقتدار، وإن طبيعته الشخصية لا يعبر عنها إلا مع شخصية شبيهة بها وعندها الطبيعة الإلهية بفعل روح الله القدوس. وقد أعلنت لنا شخصية الله بكل وضوح في المسيح يسوع. والآن يعلن لنا الله شخصيته بواسطة روحه القدوس في حياة الذين يسلمون له نفوسهم تسليماً مطلقاً بلا قيد ولا شرط. إن اللجان قد تساعد على تنظيم وتوجيه الكرازة ولأجل هذه الغاية فهي مطلوبة ونحتاج إليها بالتأكيد. ولكن العمل نفسه يتم بواسطة أشخاص مختبرين ومدربين يقتربون إلى الأشخاص الآخرين لكي يقدموا لهم المسيح. وهذا ما يجب أن نقوله متفقين في الرأي مع " أ. م. بوندز" حينما قال: " إن الأشخاص هم وسيلة الله للكرازة "، وما لم يكن لنا أشخاص ممتلئون بروحه وخاضعون لخطته، فان كل طرقنا لن تنجح.

هذه هي الكرازة الجديدة التي نحتاج إليها اليوم وليست حاجتنا إلى وسائل أفضل بل إلى أشخاص أفضل، أشخاص يعرفون فاديهم معرفة اختبارية شخصية، لا معرفة سماعية منقولة عن آخرين. حاجتنا إلى أشخاص لهم رؤية وقلب المسيح، حاجتنا إلى أشخاص راغبين أن يكونوا لا شيء لكي يكون هو كل شيء، حاجتنا إلى أشخاص يريدون فقط أن تكون لهم حياة المسيح ويحبون كما يحسن في عينيه. وهذا هو التكاثر الصحيح كما يريده المسيح. هذا هو الطريق الذي وضعه السيد ليحقق به غرضه على الأرض. وحيثما يُنفذ بواسطة استراتيجية المسيح الفعالة فان أبواب الجحيم لن تقوى ولن تعطل كرازة العالم كله باسم المسيح.

* * * * * * * * *

خاتمـــة: السَيد وخطة حياتـك

" أنا هو الألف والياء " (رؤيا 1: 8)

1- للحياة خطة

ما هي خطة حياتك؟ إن كل شخص يجب أن يصنع لحياته خطة يسير عليها، إن الخطة هي المبدأ المنظم الذي يتم حوله غاية الحياة. وقد لا نحس بخطة الحياة في كل عمل نقوم به، وقد لا نعرف أن لنا خطة موجهة لحياتنا، ولكن بالرغم من ذلك فان أعمالنا تدل على أن هناك خطة من نوع ما، هي التي تحرك وتنظم لنا كل شيء.

وعندما نسير وفقاً لخطة حياتنا ونحاول أن نرى هدفنا وكيف نسعى إلى تحقيقه نجد أن ما اكتشفناه ليس مشبعاً لنفوسنا ولا محققاً لرغباتنا. ولكن تقديرنا الأمين يجب أن يجعلنا أكثر اهتماما بدعوتنا. وأوجه هذا الكلام بصفة خاصة إلى الشخص الذي يؤمن بأن خطة يسوع يجب أن تكون القانون الذي يحكم وينظم كل أفكارنا وأقوالنا وأعمالنا.

2- الطرق تتنوع

ربما علينا أن نتخلى أو نغير خطط كرازتنا المحبوبة. هذا الأمر قد يسبب الألم. أيضا، لربما يتواجد نفس مقدار الألم عندما تتغير الكنيسة لتتناغم مع فكر السيد نحو الخدمة. ومهما يكن الأمر، علينا إعادة تقييم مفهومنا للنجاح. وإذا اعتبرنا أن هناك قيمة ومصداقية للمبادئ المذكورة في هذا الكتاب، يجب علينا أن نجعل هذه المبادئ مرشدا لمنهجية الخدمة. ولن يتضح عمق قوة ومعنى هذه المبادئ في حياتنا إلا إذا طبقناها بشكل يومي. وهكذا، نوجز أن اعتبارنا هذه المبادئ صحيحة يعني أنها صالحة للحياة اليومية. على كل واحد منا إذن أن يبحث عن الطريق الذي يجمع بين حكمة استراتيجية يسوع وبين الطريقة المفضلة عنده في الكرازة. ليس كل واحد ملزماً باتباع طريق يسير عليها غيره، إن التنوع هو في صميم بناء الكون. وكل طريقة يرضى عنها الله هي طريقة صالحة لكن هذا لا يعني تحسين طرق كرازتنا. إن السيد يعطينا ملخصاً موجزاً لنسير بموجبه وهو ينتظر منا أن نتوسع في التفاصيل حسبما تقتضيه التقاليد والظروف. هذا يتطلب كل ذرة لدينا من الوسائل والإمكانيات. ولا بأس من طرق أبواب جديدة وجريئة تبعاً لتغير المواقف، ولكن ليس كل طريق جديد يصلح حتما للعمل به. وإن الشخص الذي يخشى الفشل لن يبدأ عمله أبداً. كما أن الشخص الذي ينشأ به الخوف من اختبار هذه الطريقة أو تلك لن يحصل على تقدم كبير.

3- الحاجة الأولى إلى أشخاص

ولكن كيفما تكن الطريقة التي نتخذها، فان حياة يسوع تعلمنا أن إيجاد الأشخاص وتعليمهم وتدريبهم لكي يصلوا إلى أشخاص آخرين يجب أن يكون له الأولوية في تفكيرنا واهتمامنا. إن الجماهير لا تستطيع أن تعرف الإنجيل ما لم يكن أمامها شهادة حية منظورة. ومجرد إعطائهم موعظة أو تفسيراً لا يكفي. إن الجماهير التي تهيم على وجهها في ضلال يلزمها مثل عملي حي أمامها لما تريدها أن تؤمن به. تحتاج الجماهير إلى رجل يقف بينهم ويقول لهم " اتبعوني فأنا أعرف الطريق "، وهذا هو المكان الذي يجب أن نركز فيه كل خططنا. وبغض النظر عن تأثيرنا الروحي، فان اللياقة الدائمة واللازمة في كل ما نعمله تتوقف على الكيفية المناسبة التي نكمل بها إرساليتنا.

على أننا يجب أن نتأكد تماماً أن نوع الرجال الذي يحتاج إليه المسيح لا نلتقي به مصادفة، بل بواسطة تخطيطا دقيقاً ومجهوداً مركزاً. وإذا كنا نريد أن ندرب رجالا فيجب أن نعمل لأجلهم، ويجب أن نبحث عنهم، ويجب أن نكسبهم، وفوق كل شيء يجب أن نصلي لأجلهم. وبعض هؤلاء القادة موجودون في مراكز قيادية في الكنيسة، والبعض الآخر ينتظرون منا دعوة للمجيء إلى المسيح. ولكن حيثما يكونون يلزمنا أن نصل إليهم، وأن ندربهم ليصيروا تلاميذا نافعين للمسيح.

4- ابدأ بعدد قليل

لا يجب أن نتوقع عدداً كبيراً نبدأ به، كما أننا لا يجب أن تكون عندنا هذه الرغبة. إن أفضل الأعمال يتم دائماً بواسطة عدد قليل من الأشخاص المختارين. وخير لنا أن نقضي سنة أو ما يقرب من السنة في تعليم شخص أو شخصين كيفية ربح النفوس للمسيح، أقول أن هذا خير لنا من أن نقضي حياتنا بأكملها مع جمهور كبير قانع بسير الأمور في مجراها الطبيعي المعهود. كذلك لا يقلقنا أن تكون البداية صغيرة أو غير موفقة، إنما الذي يعنينا أن يكون أولئك الذين نعطيهم الأولوية من حياتنا يتعلمون كيف يذيعون الرسالة بين الناس، وأن تكون حياتهم خير مؤيد لشهادتهم.

علينا أن نعلم أن عملية التلمذة غير محصورة بنا. إنها تشمل أشخاصا آخرين يؤثرون على حياة التلاميذ مثل الأمهات والآباء والزوجات والأزواج والأولاد وخدام الكنيسة والمعلمين والأصدقاء المختلفين. إن شهادتهم، سواء كانت سلبية أو إيجابية، مؤثرة على حياة التلاميذ. في ذات الوقت، علينا أن ندرك انه ربما في مرحلة ما نكون أكثر الناس تأثيرا على التلاميذ وعلى نضوجهم المسيحي.

إن المسيح هو القائد. مما يعني أننا لسنا القادة. ليكن هذا الأمر واضحا كل الوضوح. فلا يوجد في التلمذة المسيحية مكانا لأي قائد مستبد. لنبقي يسوع في مركز القيادة. انه يرشدنا بواسطة الروح والكلمة المقدسة. وعندما نخضع له يتعلم القائد والتلميذ عند أقدام المسيح.

5- أمكث معهم كثيراً

إن الطريق الواقعي الوحيد ليصل هذا العمل إلى تأثيره المطلوب هو في المكوث مع الذين ندربهم فترة من الوقت. وإذا كان الذين يتبعوننا يرون فينا شيئاً ما يستحق أن يقتدوا بنا فيه، فمن الواجب أن نقضي معهم وقتاً كافيا. وهذا هو جوهر الخطة . أن نسمح لهم برؤيتنا أثناء العمل حتى يمكنهم أن يروا الرؤى التي نراها، ولكي يعرفوا أن هذه الرؤى تتصل اتصالاً مباشراً باختبارنا اليومي. إن الكرازة بهذه الصورة تصير لهم شيئاً عملياً وثيق الارتباط بكل ما يجري في حياتنا. وبهذا الوضع يستطيعون أن يروا الكرازة كطريق للحياة وليس كمجرد عقيدة لاهوتية. وما هو أكثر من ذلك. إن وجودهم معنا يجعل اشتراكهم في العمل أمراً حتمياً لا بد منه.

6- أعطهم وقتاً

إن خطة كهذه ستأخذ بطبيعة الحال وقتاً لإتمامها كأي شيء آخر له أهمية. ولكن بقليل من التدبير والتبصر يمكننا أن نضع خطة لعمل أشياء كثيرة معاً . وهي أشياء نحتاج إلى عملها بطبيعة الحال . كالزيارات، والذهاب إلى المؤتمرات، وقضاء أوقات للعبادة معا. وبهذه الكيفية فان الوقت الذي نقضيه لا يثقلنا بأعباء فوق طاقتنا. وكذلك . إذا كنا متيقظين ـ فان تلاميذنا يستطيعون أن يلازمونا معظم الوقت الذي فيه نخدم

الآخرين. ويستطيعون أيضاً أن يعاونونا في الامتداد الأوسع لتوصيل بشارة الإنجيل إلى أكبر عدد ممكن من الناس.

7- اجتماعات منظمة لفريق الكرازة

لكي نعطي هذا الأسلوب شيئاً من الاستقرار، يلزمنا أن نرتب الوقت الذي نجتمع فيه مع الفريق أو مع جزء منه. وفي هذه الاجتماعات غير الرسمية يمكننا أن ندرس الكتاب المقدس ونصلي ونتبادل الاختبارات والأعباء والرغبات مع بعضنا البعض. وليس من الضروري أن نذيع أنباء هذه الاجتماعات. وكذلك لا داعي لإحاطة الفريق بالخطة النهائية التي رسمناها قدامنا. وكل ما في الأمر أن ندع الاجتماعات تنمو نمواً طبيعياً نابعاً من حاجتنا إلى الشركة المتبادلة ويستطيع الفريق أن ينفذ برنامجه الخاص داخل إطار الكنيسة.

وفكرة الاجتماعات الدورية قد تنبهت لها الكنائس أخيراً وهذه علامة من أقوى العلامات المبشرة بالخير. إننا نرى تكون وتتكاثر المجموعات والخلايا الروحية في كل مجالات الحياة ومع كل ما له علاقة بالكنيسة. تحتاج بعض هذه المجموعات إلى الإرشاد فهي تتصارع مع معرفة الطريق الصحيح. أما بعضها الآخر فقد ظل الطريق. لكن كل المجموعات تتشوق بشدة إلى اختبار الحياة المسيحية بشكل حقيقي. وبما أن هذه الخلايا البشرية غير محدودة بالتقليد أو بقوانين خارجية فأنها تختلف عن بعضها البعض وتتخذ أشكالا وترتيبات مختلفة. لكنها تتشابه في وجود الشركة الأليفة والالتزام الكبير. تمركز هذا المبدأ يجعل منهجية هذه

الخلايا البشرية مثمرة. لهذا يجب علينا أن نراعي هذا المبدأ – أي وجود الشركة أليفة والالتزام الكبير – ونستخدمه مع رجال ونساء الكنيسة.

وبهذه المناسبة أقول أن المبشر العظيم " بيلي جراهام " الذي له صيت واسع في كل العالم قد اعترف بالأهمية العظمى لهذه الخطة إذا أحسنت الكنيسة استخدامها. سُئل مرة هذا السؤال: " لو كنت راعياً لكنيسة كبيرة في مدينة عظيمة فماذا تكون خطتك للعمل؟ " فأجاب بيلي جراهام على هذا السؤال مبينا حكمة خطة يسوع. قال بيلي:

" أعتقد أن من أول الأعمال التي سأقوم بها هي أن جمع حولي فريقاً صغيراً مكوناً من ثمانية أو عشرة أو اثني عشر شخصاً، وأجتمع بهم مدة ساعات قليلة كل أسبوع. وهذا العمل سيكلف هؤلاء الأعضاء شيئاً من الوقت والجهد. وأبادل الفريق كل ما عندي من اختبارات. وتبقى هذه الاجتماعات بضع سنين وسيكون عندي في هذه الحالة اثنا عشر كارزا من العلمانيين الذين يقومون بدورهم بتدريب اثني عشر شخصاً آخرين للكرازة. وأنا أعرف كنيسة أو كنيستين تسيران على هذا النظام وهذا مما يحدث ثورة في الكنيسة. وأعتقد أن المسيح قد وضع هذه الخطة. فقد قضى معظم وقته مع الاثني عشر تلميذا. ولم يقض هذا الوقت مع الجماهير الكبيرة. وفي الحقيقة إن الوقت الذي صرفه مع الجماهير لم يأت بنتائج كثيرة. ويبدو لي أن النتائج العظيمة جاءت من الأحاديث الشخصية ومن الوقت الذي قضاه مع مختاريه الاثني عشر".

8- انتظر منهم شيئاً ما

ولكن ليس كافياً أن نعقد اجتماعات دورية منتظمة مع فريق الكرازة، بل يجب أن يعطى كل واحد منهم الفرصة للتعبير عما تعلمه خلال مدة التدريب. وما لم تعط لهم الفرصة للعمل فإن الفريق سيبقى راكداً ومع مرور الوقت يتحجر إلى اجتماع يتبادل الأعضاء فيه إعجابهم ببعضهم البعض. ويجب أن نجعل غرضنا من الاجتماع واضحاً. إن الأوقات التي ننعزل فيها عن العالم ليست هدنة من الكفاح، إنما هي فرصة للحصول على قوة أكبر للهجوم.

إنها مهمتنا إذن أن نعطي كل واحد منهم شيئاً يعمله ويتناغم مع مواهبه. وكل واحد بدون استثناء يستطيع أن يعمل شيئاً ما. ويمكننا أن نعين عليهم في بادئ الأمر واجبات عادية روتينية كإرسال خطابات، أو الإعداد لإقامة خدمة في الأماكن العامة، أو تجهيز وجبة خفيفة لنا في بيوتهم. ولكن بالتدريج ستزداد المسئوليات عليهم بازدياد قدرتهم على العمل. والذين عندهم موهبة التعليم يمكن تشغيلهم في مدارس الأحد. وقبل أن يمضي وقت طويل على تدريبهم يمكننا أن نضع عليهم عملاً رعوياً يتناسب مع مقدرتهم. وكل واحد في ميسوره أن يزور المرضى في البيوت والمستشفيات. ويمكن تشجيع البعض على القيام بخدمة الوعظ في الكنائس المجاورة. وبالطبع يحتاج كل واحد إلى إعطائه عملاً محدداً يتعلق بالكرازة الشخصية. والمحتمل أنهم لا يستطيعون أن يؤدوا عملاً أكثر نفعاً للكنيسة من ميدان متابعة المسيحيين الجدد. وفي هذا المجال يستطيعون أن يقوموا بدور كبير في خدمة ورعاية الذين لا يزالون أطفالاً في المسيح. وعليهم أن يقودوا هؤلاء الصغار في نفس الطريق الذي

ساروا فيه من قبل. وإن الذين ندربهم لهذا العمل سيقومون بالعمل الأساسي في المحافظة على كل مجهود كرازي للكنيسة وفي نفس الوقت سيخدمون الكنيسة في الامتداد والتوسع المتواصلين.

9- اجعلهم مستمرين في عملهم

كل هذا يحتاج قدراً كبيراً من الإشراف على النمو الشخصي لهؤلاء الرجال، وعلى عملهم مع الآخرين. ويجب أن نعود أنفسنا على اللقاء بهم من آن لآخر ولمعرفة كيف تسير الأمور معهم. وهذا معناه أن نذهب إليهم حيث يكونون، أو نتشاور معهم عندما يكونون قائمين معنا بوجه من أوجه النشاط المختلفة. ويجب أن نعطيهم جواباً على الأسئلة التي تخطر بأفكارهم بينما تكون الظروف التي أوجدت هذه المشكلة لا تزال عالقة بأذهانهم. كما أن المواقف والانفعالات الجسدية التي تحركها الطبيعة البشرية يجب أن تعرف في الحال وتكتشف في وقت مبكر ويجب معالجتها بطريقة حاسمة. كما يجب معالجة العادات الشخصية المؤذية للآخرين، والتعصبات التي لا مبرر لها وأي شيء آخر يعطل كهنوتهم مع الله ومع الناس.

إن الشيء الرئيسي هو أن نساعدهم على النمو في النعمة وفي المعرفة. وقد يكون من الحكمة أن نضع بياناً نكتب فيه المواضيع التي يحتاجون إليها مدة تدريبهم، ثم ندون في سجل آخر مدى تقدمهم في هذه المواضيع حتى لا يفوتنا شيء مما نريد أن نعلمه لهم. وهذا أمر لازم خصوصاً عندما ندرب عدداً من الأشخاص في وقت واحد، لكل واحد

منهم مستوى معين من الخبرة. ونحتاج إلى ممارسة الصبر معهم لأن تقدمهم في معظم الحالات يكون تقدماً بطيئاً بسبب ارتباكات كثيرة تعوق نموهم. ولكن طالما كانوا أمناء في البحث عن الحق وعندهم الرغبة في اتباعه، فانهم سيبلغون إلى النضوج الروحي في المسيح.

10- ساعدهم على حمل أعبائهم

لعل أصعب جزء في كل عملية التدريب هو أننا يجب أن نرى مقدماً مشاكلهم قبل وقوعهم فيها، ونعدهم لما سوف يواجهونه من هذه المشاكل. وهذا من أقسى الواجبات علينا وقد يكون سبباً في إثارة غضبنا. ومعنى هذا الواجب هو أننا لا نستطيع أن نخرجهم من عقولنا. لو كنا مستغرقين في تأملاتنا ودراستنا الشخصية، فان تلاميذنا سيبقوا على الدوام في صلواتنا وأحلامنا. ولكن هل يرضى الأب الذي يحب أولاده أن يسلك طريقاً آخر غير هذا الطريق. إننا يجب أن نقبل عبء عدم نضوجهم إلى أن يأتي الوقت الذي يحملون فيه أعباءهم بأنفسهم. وإذا طلبنا منهم في المراحل الأولى من تدريبهم أن يحملوا أعباءهم كلها من غير أن تُمد لهم يد المساعدة فهذا معناه أنهم قادمون على كارثة مؤكدة. يجب أن نتعقل. وكمبشرين ورواد نحن مسئولون بتعليم أبنائنا في الروح كيف يعيشون للرب يسوع.

11- دعهم يواصلون العمل

وكل شيء يجب أن يتجه بهؤلاء الرجال المختارين إلى اليوم الذي يأخذون فيه على عاتقهم القيام بخدمة ما في محيط تأثيرهم، وإلى أن يقترب هذا الوقت على كل واحد منهم أن يداوم اتصاله بالذين ربحهم للمسيح أثناء تدريبه أو يعين عليهم واجب المتابعة لأشخاص معروفين لهم. وهكذا تكون استراتيجيتنا في الكرازة بهذه الصورة قد جعلتهم يمارسون عمليا ما تعلموه من غير أن يشعروا به. وقبل أن نكمل إشرافنا عليهم يجب أن نذكر لهم بمنتهى الوضوح ماذا كانت تهدف إليه خطتنا من البداية. إنهم يحتاجون أن يروا الخطة بوضوح في أذهانهم لكي يقيسوا حياتهم بها ولكي يستطيعوا أيضا أن يعطوها لأولئك الذين يسعون لتقديم المساعدة لهم.

12- الاختبار الروحي فوق كل شيء

أهم شيء هو بطبيعة الحال نموهم الروحي. وقبل أن يخرجوا من دائرة إشرافنا عليهم، يحتاجون أن يكونوا مؤسسين تماماً في الإيمان الذي يغلب العالم. علينا أن نعلم أن كل قوات الجحيم بقيادة إبليس تسعى للتغلب على التلاميذ. يسعى الشيطان جاهداً للتغلب عليهم بكل الأساليب الماكرة التي في متناول يده. والعالم الذي يذهبون إليه واقع في قبضته الشريرة. وستكون المعركة حامية في كل الطريق. وكل خطوة من التقدم ستكسب بواسطة الكفاح الشديد لأن العدو لن يسلم أبداً بسهولة. ولا شيء أقل من الامتلاء بروح المسيح سيكون كافياً لمواجهة التحدي. وما لم يعيشوا في شركة مستمرة مع الروح القدس ويخرجوا في طهارة وقوة المسيح

ستحيق بهم الهزيمة بواسطة القوات المتجمعة ضدهم. وسيكون الضياع مصير كل عملنا معهم.

وكل شيء عملناه يتوقف على أمانة هؤلاء التلاميذ. وليس المهم أن يكون عدد المجندين لقضية المسيح كبيراً ولكن المهم أن يعرفوا كيف ينتصرون لأجل المسيح ولأجل هذا السبب يجب أن يكون التركيز على نوع الحياة التي يحياها هؤلاء المدربون للخدمة. وإذا كنا نستطيع أن نحصل على النوع الصحيح للقيادة فان كل شيء سيسير في طريقه. ولكن إذا لم نحصل على القيادة الصالحة الرشيدة فان الناس لن تجد شيئاً يستحق أن تتبعه.

13- ثمن الانتصار مرتفع

لنعلم علم اليقين أن هذا المستوى العالي يكلفنا ثمناً غالياً. وربما يبدأ معنا كثيرون في طريق الحياة المسيحية، لكنهم إذ يرون التكاليف أكثر مما يطيقون يسقطون في الطريق. ويجب أن نواجه هذه الحقيقة من الآن. إن الخدمة المسيحية تطالبنا بنفقات كثيرة، وإذا أراد الناس أن يكونوا ذوي نفع في خدمة الله، عليهم أن يتعلموا أن يطلبوا أولا ملكوت الله. نعم، ستحدث لنا مشكلات كثيرة. لكن الذين يتغلبون على المشكلات يخرجون إلى العالم الفسيح لينقلوا تأثير حياتنا المسيحية فيهم. وهكذا، ستأخذ أفراحنا في الازدياد على توالي السنين. إننا لا نحيا ليومنا الحاضر فقط. نعم، إننا مسرورون عندما نعلم أن الأجيال القادمة ستسمع عن المسيح وتثمر بسبب

خدمة تلاميذنا. وهكذا سيتزايد ثمر خدمتنا فيصل إلى كل الأرض وإلى وقت النهاية.

14- هل هذه رؤياك؟

إن العالم يبحث متلهفاً عن شخص يتبعه. وأنه أمر مؤكد أن يجد الناس شخصاً ما يتبعونه. ولكن هل يا ترى يكون هذا المتبوع شخصاً يعرف طريق المسيح، أم هل يكون واحداً شبيهاً بالذين يقودهم فيسيرون معاً في ظلام ويسقطون معاً في حفرة أكثر ظلاماً؟

وهذا هو السؤال الحاسم في خطة حياتنا. وإن سداد الرأي في كل ما نعمله يتوقف على القرار الذي نتخذه بشأن خطة الحياة، كما أن مصير الجماهير التي تتبعنا متعلق بهذا القرار.

****

منذ فجر المسيحية وحتى يومنا هذا، جاهدت الكنيسة في البحث عن الطرق والخطط التي تعينها حتى توصل رسالة الإنجيل إلى أقصى الأرض. وعندما ندرس بإمعان كثير من هذه الطرق والإستراتيجيات نجدها ناقصة. إن عظمة كتاب كولمان ليست في تقديم خطة جديدة ولكن في كشف الغطاء عن خطة يسوع التي إن استخدمتها الكنيسة في أي مكان وزمان لا بد أن تأتي بنتائج عظيمة لصالح ملكوت الله.

القس الدكتور اليكس عوض: مفكر ولاهوتي فلسطيني

من هو روبرت كولمان؟

هو مدير "مدرسة الإرسالية للعالم" (School of World Mission). هو بروفيسور في جامعة ترينتي الدولية (Trinity International University). هو مدير معهد الكرازة في بيلي جراهام سنتر. هو عميد مدارس الكرازة الدولية (International Schools of Evangelism). هو أحد مؤسسي لجنة لوزان الهادفة إلى توصيل الخبر السار لكل العالم.

لقد كتب الدكتور كولمان المئات من المقالات والعشرات من الكتب القيمة. أضف إلى ذلك، تُرجم هذا الكتاب إلى اكثر من تسعين لغة.

. لهذا ليس لنا سبيل إلا العودة إلى صاحب المأمورية العظمى – الرب يسوع المسيح – لكي نتعلم منه عن أفضل الوسائل في نشر الأخبار السارة. وهذا بالفعل ما قام به الدكتور روبرت كولمان. فقد عاد إلى المصدر وتمعن في أسلوب يسوع عندما أعد الإثني عشر للمهمة العظمى التي وضعها على عاتقهم

تخرج كولمان من جامعة سوثوسترن، ثم تخرج من كلية اسبري للتعليم اللاهوتي. بعد ذلك، درس في جامعة برينستن المعروفة وأخيرا حصل على شهادة الدكتوراة في جامعة ايوه. لقد كتب كولمان المئات من المقالات والعشرات من الكتب القيمة. أضف إلى ذلك، تُرجم هذا الكتاب إلى اكثر من تسعين لغة.